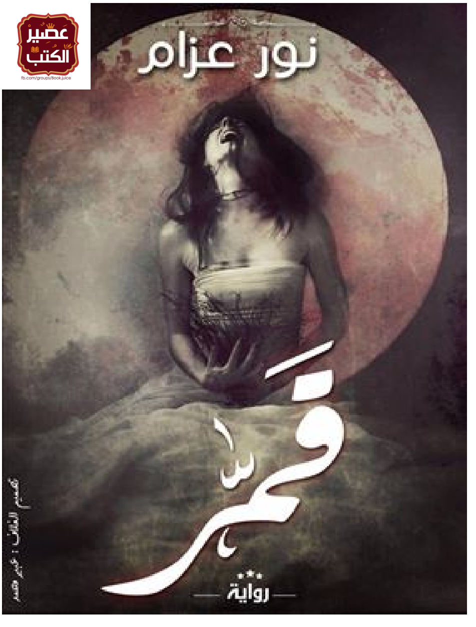


٥

إهداء

إلى هؤلاء من يتخذون السير داخل, الجدران مأمنًا ..تحرروا .. فلم يعد للأمان موطنًا.

نور عزام

حي الوراق السكني، ذلك الحي العتيق شديد الازدحام، البيوت متلاصقة ومتجاورة بدون أي تخطيط أو شكل هندسي واضح، الشوارع ضيقة كعقول بعض من يقطنون بها. في أحد شوارعه يوجد ذلك البناء الصغير المتآكل المكوَّن من طابقين، يعيش «حسن» في شقة بالطابق الأول.. إن صح أن نطلق عليها شقة من الأساس!

حجرة واحدة صغيرة بها سرير متهالك، عليه مرتبة بالية وصندوق خشبي قديم يضع به ملابسه الرثة، وصالة ضيقة تكفي فردين على

الأكثر، بها منضده عليها تلفاز قديم وكرسي بلاستيكي ومطبخ صغير، ودورة مياه تنبعث منها رائحة كريهة مجهولة المصدر! مهما حاول تنظيفها الرائحة لا تزول منها، حاول كثيرًا إلى أن اعتادت أنفه على تلك الرائحة.

وُلِدَ حسن في بلدته سوهاج، وتوفيت والدته أثناء ولادته فلم يرَها أو يعهد حنانها قط، سمع حكاياتٍ كثيرة عن مدى حنانها وحبها لكل أطفال البلدة وكم كانت تتمناه بعد أن حرمها الله من نعمة الإنجاب سبعة أعوام كاملة، ويوم أن علمت بحملِها كادت أن تموت فرحًا، انتظرت بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي يخرج فيه صغيرها إلى الحياة لتأخذه بين ذراعيها وتعوّض به حرمان كل تلك السنوات، لكن إرادة الله كانت فوق كل شيء ووافتها المنية قبل حتى أن تلقي عليه نظرة واحدة.
والده مزارع بسيط، بعد وفاة زوجته بثلاثة أعوام، أخذ حسن وذهب به إلى القاهرة؛ بحثًا عن العمل.

لم يتزوج بعد وفاة زوجته، كان يحبها حُبًّا أصبح وجوده نادرًا في تلك الأيام، رفض حتى مجرد التفكير في أيِّ أنثى بعدها رغم عروض الزواج الكثيرة التي توالت عليه، إن لم يكن لأجله فكانت من أجل ذلك الصغير المسكين الذي حُرِم من حنان ورعاية والدته إلى الأبد.. لكن رضوان رفضَ رفضًا قاطعًا، ولكي يتخلص من الإلحاح عليه بالزواج، أخذ حسن وذهب به إلى القاهرة، وعمل كحارس لعقارٍ في

منطقة المعادي، استمر في عمله إلى أن داهمه المرض فجأة، وبعد الكشف والفحوصات تبين أنه يعاني سرطان بالرئة.

كل الأموال التي جمعها خلال فترة عمله أنفقها على علاجه بلا جدوى، توفى بعد عام من اكتشافه للمرض اللعين، تاركًا خلفه حسن ولم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وكان قد أنهى دراسته للمرحلة الإعدادية للتوّ.

صار حسن يتيمًا للمرة الثانية، وحيدًا، ضائعًا، لكنه كان رجلًا رغم صغر سنه، تحمل المسئولية واعتمد على نفسه رغم صعوبة ظروفه وقسوة الحياة.

فقد تخلى عنه أصحاب العقار الذي كان يحرسه والده عقب وفاته، وبسبب علاقات والده الطيبة، ساعده "عم شلبي " حارس عقار في الشارع المقابل في إيجاد سكنٍ بسيطٍ وعمل في ورشة ميكانيكا بعد أن اضطر إلى الخروج من المدرسة رغم تفوقه.

عمله في الورشة كان مُرهِقًا للغاية ويتطلب منه العمل ما لا يقل عن تسع ساعات يوميًا. كان يشعر بالعجز والقهر وهو يرى الطلاب ذاهبين إلى مدارسهم وكلياتهم صباحًا وهو من حكمت عليه الظروف وقست عليه الحياة واضطرته للعمل ليل لنهار ليكسب قوت يومه ويدفع إيجار سكنه.

كان ذكيًّا وسريع البديهة، تعلم صنعته بسرعة وأتقنها جيدًا ، واستطاع أن يكسب حب وصداقة مَن حوله؛ بسبب روحه المرحة

وقلبه الطيب ولسانه الفصيح.. وإن كانت روحه المرحة تلك تنمزق داخليًا، مجرد خدعة يخدع بها الناس، وحاول جاهدًا أن يخدع بها نفسه لكنه لم يستطع.

ما إن يغلق عليه باب شقته حتى يعاني من مرارة اليُتمِ والوحدة.. يفتقد حضنًا دافئًا يحتويه ويدًا حانية تربت على كتفه. لم يعهد الشعور بالحنان سوى مراتٍ قليلة من والده، يعلم أنه كان يُحبه كثيرًا لكنه لم يكن يُجيد التعبير عن ذلك، مثله مثل آلاف الرجال الذين يجدون صعوبة في التعبير عمَّا يشعرون به ويترجمون مشاعرهم إلى أفعال، لكن في أحيان كثيرة، الإنسان يحتاج إلى تلك المشاعر صريحة دون ترجمة!

كم أحبَّ ذلك الشعور وكم حُرِمَ منه بقسوة، راضٍ بقضائه، ما كان أبدًا بناقمٍ، لكن شعورًا خبيثًا بالحزن يتسرب إلى داخل أعماقه دون رحمة ولا يستطيع أن يسيطر عليه.

ورث أغلب ملامح والده وطباع والدته: وجه بيضاوي وبشرة سمراء، حاجبان كثيفان وعينان واسعتان بلونِ سواد الليل، أنف أفطس وفم كبير لكن متناسق مع بقية ملامح وجهه، شعر أسود قصير، متوسط القامة، عريض المنكبين، وجسده متناسق ليس بالسمين ولا الرفيع، لا يُعَد وسيمًا وليس بالدميم، مقبول الشكل يحاول أن يبدو حسن المظهر كاسمه رغم ضيق الحال، ورث عن والدته الطيبة وخفة الظل والحنان الذي لم يعده منها يومًا..

مسكين من قال إن فاقد الشيء لا يعطيه، بل هو أكثر من يجيد في عطائه؛ لأنه أكثر من يدرك قيمته !

* * *

منطقة إمبابة، شقة أفضل حالًا من ذلك الجحر الذي يسكنه حسن، مكوَّنة من غرفتين للنوم.

غرفة مكونة من سريرين ودولاب صغير ومرآة منكسرة معلَّقة على الحائط وبها نافذة صغيرة مطلة على الشارع، وغرفة أخرى أصغر، بها سرير واحد ودولاب وتسريحة قديمة، صالة متوسطة الحجم بها أريكة ومنضدة عليها تلفاز وثلاجة صغيرة، مطبخ مساحته لا تحتمل وجود الثلاجة ودورة مياه ضيقة.

تعيش قمر مع عائلتها، والدتها أمينة في الخامس والخمسين من عمرها، وشقيقاها: محمد الذي يكبرها بأربعة أعوام، وإبراهيم بخمسة أعوام، متزوج من شيماء ولديه من الأبناء اثنان: عمر ثلاثة أعوام، وحبيبة عامان.

وهي قمر البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا، ملامحها هادئة ووجهها طفولي بريء، بيضاء البشرة، لديها جبهة عريضة وحاجبان رفيعان، عينان عسليتان، أنف مستقيم وفم صغير ممتلئ وذقن يحمل طابع الحُسن.

شعرها بني طويل لكنها تخفيه أسفل حجاب صغير غالبًا يكون باللون الأبيض الذي يضفي عليها مظهرًا ملائكيًّا، قصيرة القامة

وممتلئة بعض الشيء، رغم براءة ملامحها إلا أن عينيها تحملان حزنًا عميقًا، حزنًا بات ملازمًا لها كظِلِها. الوحيد الذي كان يحنو عليها، فارق الحياة قبل ثلاث سنوات؛ والدها الحنون.. كم افتقدته.

والدتها تقسو عليها كثيرًا، تظن أن تلك هي التربية السليمة لأي فتاة في مثل عمرها.

أخوها إبراهيم حاد الطباع، شديد العصبية، تخشاه كثيرًا، يعاملها بمنتهى الحِدة والعنف، يكفي أنه أخرجها من المدرسة بعد وفاة والدها بحجة أنه لا فائدة من تعليم الفتيات؛ حيث أن مصيرها في النهاية للزواج والمكوث في بيت زوجها لخدمته، تساءلت مئات المرات: ألهذا حقًا تتزوج الفتيات؟!

ألهذا السبب حقًا منعها من إكمال دراستها وتحقيق حلمها ! كانت تحلم بأن تصبح طبيبة وتعالج سُكان حيها، هُدِمَت آمالها وتحطمت أحلامها، حظها العاثر أوقعها في يدِ القاسي المتسلط الذي من المفترض أن يحنو عليها أكثر من أي شخصٍ آخر، لكن في مثل حالتها الوضع يختلف كثيرًا.. كثيرًا جدًا.

تلك العقربة زوجة أخيها (كما تطلِق عليها)، تغار منها وتكرهها بشدة ! ولا تعلم لِمَ؟!

هي أيضًا جميلة مثل قمر، ليست على نفسِ القدرِ من الجمال لكنها جميلة..

دائمًا ما تتسبب لها بالمشاكل مع إبراهيم، والآخر دائمًا يقف في

صف زوجته، حتى كادت أن تشك أنها ليست شقيقته من لحمه ودمه!

تعشق عمر وحبيبة هما من يهونون عليها حياتها البائسة، ومحمد شقيقها الأصغر أيضًا، أحيانًا يحنو عليها؛ فهو الأقرب إليها في ذلك المنزل، لكنه ضعيف الشخصية أمام أخيه، لا يستطع أن يقف أمامه أو يعارضه، ولم يستطع أن يحميها من بطشه.

بكت أمامه كثيرًا ترجوه أن يُقنع أخاها بأن لا يجعلها تترك المدرسة، كل ما فعله يومها أنه قبَّلها من جبينها وظلَّ يهدئها بكلمات لا فائدة منها وهو يُخبرها أن إبراهيم شقيقها الأكبر وهو يعلم بمصلحتها جيدًا وعليها أن تنفِذ أمره، بُهتت من الصدمة، ونظرت إلى عينيه بقهرٍ، تعلم أنه ليس مقتنعًا بما يقول، لكنه أضعف من أن يواجه إبراهيم.

حاولت أن تستنجد بوالدتها، لكنها كانت أشد قسوة عليها وهي تخبرها أن إبراهيم الآن هو ربُّ هذه الأسرة وعليها أن تطيع أوامره؛ لأنه يعلم مصلحتها وغير مسموحٍ بالنقاش بأي شكل حتى تكون فتاة مرباة وعلى خلق!

حتى حق النقاش حرَموها منه، ما علاقة التربية والأخلاق بالمطالبة بحقها؟!! منطق غريب !

باءت كل محاولاتها في إقناعهم بالفشل دون أي سببٍ مقنع، يئست واستسلمت وتحطمت أيضًا..

من يومها ونظرة الحزن تعمقت داخل عينيها إلى أن أصبحت جزءًا منها، حتى إن ابتسمت شفتاها قليلًا وهي بصحبة عمر وحبيبة، تظل عيناها حزينتين شاردتين.

كرهت الزواج؛ لأن بسببه تحطمت أحلامها، وكرهت كل رجلٍ يُشبه إبراهيم في تسلُّطه وقسوته، ويُشبِه محمد في ضعفه.

* * *

استمر حسن بعمله، واستمرت حياته على نفس المِنوال، ستة أعوام كاملة، إلى أن ترك عمله بالورشة بسبب صدفه بحتة، أحد زبائنه، والده يملك متجرًا صغيرًا في " وكالة البلح " لبيع الملابس الجاهزة، عرف حسن تلك المعلومة بالصدفة؛ بسبب مكالمة هاتفيه دارت بين ذلك الزبون ووالده أثناء تصليح حسن للسيارة، فسمع المكالمة وتحدث مع الزبون قليلًا عن تجارة الملابس.

وبعد عدة أيام أتى الزبون في زيارة مفاجئة إلى حسن، ظنَّ حسن أن السيارة تعطلت ثانية، لكن خاب ظنه وكان سبب الزيارة شيئًا آخر، أبعد ما يكون عن خيال حسن؛ فقد طلب منه أن يساعد والده في بيع الملابس لأن "السوق نايم " -على حد تعبيره-، وحركة البيع والشراء قلَّت عن السابق، والمتجر في خسارة مستمرة

وعندما سأله حسن لماذا لا يقوم هو بمساعدة والده، ردَّ عليه ببساطة: "دي مش شغلتي، أنا بشتغل مُحاسب في شركة ومش فاضي، شغلي واخد كل وقتي. والدي راجل كبير ومش حِمل الوقفة

كتير في المحل، ده غير إن السوق بقى نايم ورِجل الزباين خفّت عن المكان أوي، أنا بتعامل معاك من سنين يا حسن وبثق فيك وفي أمانتك جدًا لولا كده مكنتش كلمتك أبدًا في الموضوع ده. شغلك مع ابويا مكسب كبير بالنسبة لك، لو عرفت تبيع وتمشّي المحل هتاخد فلوس كويسة ".

ترك له مهلة يومين للتفكير، طلب منه التفرُّغ التام وترْك عمله بالورشة. اعتبر حسن أن ذلك العرض بمثابة مجازفة وتجديد في روتين حياته، لن يخسر شيئًا إذا حاول وإن لم يفلح الأمر، سوف يعود إلى الورشة مجددًا

وقفته في متجر لبيع الملابس بالطبع أقل تعبًا وإرهاقًا من عمله بالورشة، رغم حبه الشديد لعمله، لكنه سئِمَ الشقاء. وافق على العرض واستلم المتجر، وبالفعل وجد أن حركة البيع والشراء قليلة، وهنا اقترح على "الحاج راضي" صاحب المتجر، اقتراحًا ولاقى هذا الاقتراح قبولًا بل وترحيبًا كبيرًا.

إن كانوا الزبائن عكفوا عن الذهاب والشراء من المتجر لأي سببٍ، فإنه سوف يأتي بالمتجر نفسه إليهم!

أصبح يضع قطع الملابس في حقيبة كبيرة ويذهب بها إلى منطقته السكنية والمناطق المجاورة لها، يبيع الملابس بأسعارٍ معقولة تناسب ظروف سكان تلك المناطق.

سار يحمل الحقيبة الممتلئة بالملابس ويدور بها في كافة المناطق طوال النهار، وليلًا تكون الحقيبة خاوية وحافظته تحوي أموال الملابس المُباعة، التي يُسلّمها إلى " الحاج راضي" أسبوعيًّا وهو يعطيه نصيبه الذي كان يرضى به ويشكر الله على فضله ونعمته.

كم أحبَّ عمله الجديد، ليس فقط لأنه به حركة ويجعله ينتقل من مكانٍ لآخر بدلًا من الملل والحياة الرتيبة، وليس بسبب أمواله الجيدة التي حسَّنت من مستواه المادي بعض الشيء واستطاع أن يبتاع ملابس جديدة بدلًا من ملابسه القديمة الرثة، بل لأنه جعله يتعرف على محبوبته، التي وقع في غرامها من النظرة الأولى.

تقطن في "حي إمبابة " القريب من حيه، يذهب إلى هناك ليراها ويتحجج ببيع الملابس.

ذهب أول مرة بنية البيع، وبعدما رآها تبدلت نيته تمامًا..
جميلة، رقيقة، بريئة
تُشبه تمامًا اسمها:
" قمر"

* * *

شابٌّ في منتصف العشرينات، ملامح وجهه جامدة، قاسية، لا توحي بذَرَّة مشاعر إنسانية قد تكون بداخله.

حاجبه الأيمن به جرح قديم، يترك أثره إلى اليوم، مما أعطاه مظهرًا أكثر شراسة وإجرامًا، حليق الرأس، طويل القامة وقوي

البنية، يقطن في الشارع المجاور لمنزل قمر، ويعمل بالنجارة في ورشة كبير لتصنيع الأثاث، ماهر جدًا بحرفته وكما يُقال " إيده تتلف في حرير"، مستواه المادي جيد وهو من يصرف على والدته المُسنة، فهي آخر من تبقى له بعد وفاة والده وشقيقه الأكبر في حادث سير مروِّع منذ أكثر من ست سنوات.

قلبه قاسٍ مثل ملامحه، لا يوجد خطأ مهما بلغ حجمه إلا وارتكبه، حتى والدته يسيء معاملتها، ينفق عليها حتى لا تموت جوعًا ويُبتلى بها لا أكثر!

يتناول الخمر كالماء، والسجائر المحشوة لا تفارق يده، شباب المنطقة لم يسلموا من بلطجته، والفتيات لم تسلمن من مغازلته الفجة، وحدها قمر التي لا يقدر على مغازلتها، إن تجرَّأ على فِعْل ذلك سيدخل في مشاكل لا حصر لها مع أخيها العدواني؛ فسار على نهج المثل المصري القديم "إبعد عن الشر وغنّي له".

لكن قمر مؤخرًا أصبحت مُتفجرة الأنوثة بشكلٍ يخطف الأنفاس،

رغم حجابها وملابسها المُحتشمة إلا أنه صار يتخيل جسدها الرائع من تحت تلك الثياب، يتأمل ملامح وجهها ويركز عينيه فوق شفتيها المُغريتين، يمنع نفسه من الانقضاض عليها والتهامها إلى أن يُدميها بأعجوبة، صارت تشكِّل له هوسًا.

على أحد المقاهي في امبابة، يجلس كرم بصحبة صديقه شوقي الذي يعمل نقَّاشًا، في يد كلٍّ منهما "الشيشة " الخاصة به، وكرم شاردٌ في عالمٍ آخر. نظر إليه شوقي ثم صاح فجأة بسخرية:

- إللي واخد عقلك يتهنى بيه.

أفاق كرم من شروده، ونظر له بحِدة:

- ااااايه يا زفت انت، فزعتني !

- ما انت اللي سرحان وفي دنيا تانية من ساعة ما قعدنا، قمر بردو؟؟

زفر بضيق ولم يرد، فابتسم شوقي بخبثٍ وأردف قائلًا:

- طب ما تتجوزها !

التفت إليه كرم دفعة واحدة وسأله باستنكار:

- إيه ؟!!

- إيه يا عم، بقول لك اتجوزها !

" أتجوزها " كررها لنفسه بخفوتٍ، كأن هذا الأقتراح لم يخطر على باله يومًا.

- أه تتجوزها ! مالك مستغرب أوي كده ليه، طالما هتموت عليها كده ومش طايلها، يبقى اتجوزها.

- أتجوز مين انت راخر، هو انا بردو بتاع جواز.

- إيه المشكلة مش فاهم؟! مش أرحم من اللي انت عامله في نفسك ده.

- أتجوز واحدة واصرف عليها بقى وتبقى ملزومة منّي والجو ده، لا يا عم يفتح الله.

- ما انت يا تتجوزها يا تنساها.

- أنساها ازاي بس، بنت اللذينَ معششة في نفوخي ومش راضية تطلع منه، ولما بشوفها قدامي النار بتقيد في جتتي.

- ده انت حالتك صعبة أوي، اشتري منِّي واتجوزها، إنت راجل كسّيب وأهلها مش هيرفضوك.

- البت مناخيرها في السما تقولش دكتورة.

- على إيه يا حسره؟! مكنتش إعدادية اللي معاها دي، إنت مش متعلم أه بس راجل كسّيب، والراجل ميعبوش إلا جيبه، هتعمل إيه بالعَلام يعني؟!

صمت كرم مفكرًا، ثم قال بعد برهة:

- مش عارف، بس انا موضوع الجواز ده عُمره ما خطر على بالي.
- طب فكّر، الجوازة مش هتكلفك كتير زي ما انت فاكر، وهتقعّدها مع امك، وهتصرف عليها في إيه يعني، هو أكل وشرب وخلاص.
- مممممممممم وكدة كدة مش بتخرج من البيت، مبشوفهاش غير مع مرات اخوها رايحين يجيبوا طلبات البيت وخلاص، مش هتخوتني بقى؛ فسّحني ولا وديني عند امي، أمها في الشارع اللي جنبنا لزق.
ضحك شوقي بقوة وقال:

- عاوز تفهّمني ان حتة بت زي دي مش هتعرف تشكمها يعني؟! ده انت تمشّي عشرة زيها على عجين ميلخبطهوش.

- تصدق كبرَّت الموضوع في دماغي، والفلوس اللي هدفعها في الجوازة مش خسارة فيها، بس اطولها بس وتبقى في بيتي.

- هو ده الكلام يا برنس، مش قاعد مشحتف نفسك عليها وانت في إيدك تاخدها.

انتهى النقاش عند ذلك الحد بالنسبة لكرم؛ فهو لم يهتم بكل ما قاله شوقي بعد ذلك، ظلَّ عقله يفكر في أمرٍ واحدٍ فقط: " زواجه من قمر.

* * *

" الدهاشنة " عائلة صعيدية عريقة، لكن انتماءها للصعيد فكرًا وليس موطنًا، فمعظم أفراد تلك العائلة يعيشون في القاهرة منذ قديم الأزل، يعملون بالجزارة لكنهم أثرياء ثراءً فاحشًا، لا أحد يعلم مصدر ذلك الثراء، هل الجزارة حقًا مُربحة إلى ذلك القدر؟! أراضٍ وعقارات ومعارض للسيارات وفروع عديدة من محلات الجزارة منتشرة في كافة أنحاء القاهرة، لكن الفرع الرئيسي في "امبابة " يمتلكون محلًّا كبيرًا بجانبه بناية مكوَّنة من ثلاث طوابق، كل طابق به شقة تسكنها عائلة بمفردها.

الطابق الأول: يسكنه الأخ الأكبر "عرفان " و زوجته " آمال" وابنته " كريمة "، وحين يأتي الابن البِكري " سعد" في زيارة من عمله بالكويت، يسكن معهم؛ فهو الوحيد الذي قرَّر التمرد والعمل بمفرده في الخارج بعيدًا عن كنف والده.

والطابق الثاني: يسكنه الأخ الأوسط " وهدان" وزوجته "فاطمة " وابناه الاثنين " عادل " و" صبري".

أما الطابق الأخير: تسكنه الأخت الصغرى "منيرة " مع بناتها الثلاث (هدي ، هبة، هالة)؛ فزوجها متوفٍّ منذ ما يقرب من التسع سنوات.

سكان المنطقة يُعانون أشد معاناة من بطش تلك العائلة، يتجبرون ويظلمون دون أي سببٍ وجيه لذلك ! يجدون متعة خاصة في سحق كل من هُم أقل منهم دون رحمة.

يتكرر ذلك المشهد المأساوي آلاف المرات في كل زمنٍ، لا جديد، لا اختلاف.. منطقة فقيرة يسيطر عليها من نُزِعَت من قلوبهم كل ذَرَّة إحساس، فقط لكونهم أثرياء أو أصحاب نفوذ أو قوة، كأن المال والجاه والقوة هم كارت المرور لممارسة أي طغيان، والكلمات السحرية لحياة مُترفة بلا قوانين، بلا قيود، بلا حساب.. يخشونهم سكان المنطقة، يتجنبونهم تمامًا، يعلمون جيدًا أن إذا وقع أحدٌ منهم تحت أيديهم لن يرحموه.. يتمنون لو يستطيعون الدخول بالحائط لا السير إلى جواره فقط حتى يأمنوا بأنفسهم مِمَّن لا رادع لهم!

* * *

قلبه حثَّه على الذهاب إلى هُناك، لا يعلم عنها سوى اسمها الذي سمعه صدفة من (شقيقتها) -على حدِّ اعتقاده-، وأصابعها

الخالية من دبلة خطوبة أو زواج. يراهما دائمًا ذاهبتين تجاه السوق، يتتبعهما دون أن تلحظا أو حتى يلحظ هو !!

لا إراديًّا يسير خلفهما، شيء ما أقوى منه ومن إرادته يدفعه نحوها، كل ذَرَّة في كيانه تنتفض عند رؤياها ولو من بعيدٍ، قلبه يخفق بجنون وروحه تغوص في عالم من الأحلام الوردية التي يحلم بها معها ويفيق في كل مرة من حُلمه يجد نفسه وحيدًا.

حتى حجة بيع الملابس، أبطلها، لا يشغل باله بالتبرير، يذهب إلى حيث مكانها لا لسبب إلا أنه يجد راحته بقُربها، يشعر أنها نصفه الثاني الذي سيُكمله. لا يعلم من أين أتاه ذلك الإحساس وهو لم يعرف عنها سوى اسمها فقط ! لكنه يثق في صدق إحساسه تمام الثقة، أبدًا لم ينجذب إلى شخصٍ بتلك الدرجة، أبدًا لم يشعر تجاه أي فتاة بتلك المشاعر والأحاسيس.

قلبه الوحيد وروحه الضائعة صرخا بنصر ما إن التقيا بها!! كل منهما وجدَ ضالته.

بها سِحر غريب تلك الفتاة! أسَرَتْه منذ أن وقعت عيناه عليها أول مرة.

دون أي تفكير ارتدى ملابسه وذهب إلى حيث محبوبته، انتظرها بنفس المكان.. ساعة، اثنين، ثلاث، لم تأتِ!!

كيف؟! ألن تذهب إلى السوق اليوم؟! هي مُعتادة على الذهاب كل يوم برفقة شقيقتها، ما الذي حدث؟! هل من الممكن أن يكون قد

أصابها مكروه؟!!

كاد أن يجن، انتظر وانتظر وانتظر بلا جدوى..

حلَّ المساء ولم تأتِ، لعنَ نفسه آلاف المرات؛ أنه لم يتتبعها إلى منزلها، لكنه كان يخشى أن يلحظه أحدٌ أو هي نفسها تلحظ تتبُّعه لها.

استمر الحال ثلاثة أيام، كان حسن على وشك أن يفقد فيهم عقله بأكمله، من المؤكد أنه قد أصابها مكروه ما، ذلك القلق القاتل؟! ما ذلك الألم المرعب الذي يعتصر صدره؟! ألهذه الدرجة أصبحت مهمة بالنسبة له؟!

كل يوم يذهب إلى هناك ويجوب المنطقة كلها ذهابًا وإيابًا عله يجد لها أثرًا، لكنه لا يجد سوى السراب.

أظلمت الدنيا في وجهه مجددًا بعد أن كانت قد أشرقت وتلونت بكل ألوان الربيع، لكنه لن ييأس، سينتظرها وستأتي..قلبه يخُبره بذلك، وقد صدق قلبه مثلما صدق إحساسه.

في اليوم الخامس، وجدها أمامه تسير بهدوءٍ تجاه السوق، لكنها كانت بمفردها تلك المرة.

ما إن رآها حتى شعر بأن روحه المسلوبة من يوم أن غَربُت عنه قمره قد رُدِّت إليه من جديد، أشرق وجهه وابتسامه خائنه، قفزت لا إراديًا فوق ثغره.. تنهد بارتياح وتتبَّعها إلى أن وصلت إلى السوق وابتاعت ما أرادته.

ظلَّ يراقبها بعينه دون أن يغفل عنها لحظة، انتهت من شراء بعض الطلبات البسيطة وسارت بنفس الهدوء في طريق العودة إلى منزلها. ظلَّ يتتبعها ونبضات قلبه تتزايد، مجرد وجودها أمامه يحرِّك مشاعره ويُلهب أحاسيسه.

تطرقت إلى حارة ضيقة وهو خلفها، فجأة ودون تفكير أسرع الخطى وسار بمحاذاتها، شهقت بفزع من المفاجأة، تقدم خطوة واحدة وسار أمامها، نظرت له بصدمة وخوف فبادلها بنظره عشق أذابتها، وابتسامة حانية خطفت قلبها.

لحظة واحدة.. فقط لحظة واحدة واختفى من أمامها تمامًا. ظهر فجأة واختفى فجأة، لكن أثر نظرته وابتسامته كان له بالغ الأثر في نفسها !

* * *

منذ ذلك الحوار البائس الذي دارَ بين شوقي وكرم وهو لم يكف عن التفكير بها.

شوقي مُحق ، لِمَ كل ذلك العذاب وهو يستطيع ببساطة الحصول عليها في منزله لينهل من عسلها اللامتناهي !

لا ينقُصه شيء، ذلك المثل الشعبي العتيق " الراجل ميعيبوش إلا جيبه " تترد في عقله ويُدعم ثقته بنفسه

عزم الأمر، وتوجه حيث المصنع الذي يعمل به إبراهيم ..

* * *

- آلو.. أيوة يا باشا.. على اتفاقنا.. لا متقلقش أنا مظبّط كل حاجة.. تمام.. مع السلامة.

* * *

كعادتها ليلًا؛ تقف في نافذة الغرفة، تتطلع إلى القمر صديقها الوحيد، حالمة في شرودٍ.

نظرت إلى الغرفة من خلفها، والدتها نائمة على فراش، نصفه خالٍ بجوارها، فذلك هو مكان نومها بجوار والدتها، وعلى الفراش الآخر تنام حبيبة بجوار عمر.

التفتت إلى النافذة مرة أخرى وابتسمت ببطءٍ، ظلت تبتسم وتبتسم إلى أن شملت الابتسامة وجهها كله.

هي سعيدة ! لا تعلم السبب، فقط إحساس بالسعادة والاطمئنان غمر روحها وسكن قلبها.

منذ أسبوع مضى نظرت إليه بخوف، أما الآن، فما إن تلمحه فقط حتى تشعر براحة غريبة وسعادة لا تعلم مصدرها.

تجده خلفها أينما ذهبت، لا تعلم كيف يتتبعها بتلك الطريقة؟! أيراقبها؟! تشعر به وتلمحه من بعيد، لكنه يتعمد أن يكون بعيدًا مسافة مناسبة عنها؛ حتى لا يلحظ أحدٌ تتبعه لها، وخصوصًا شيماء التي تكون معظم الوقت بصحبتها.

سعيد بقربها من بعيد وسعيدة بقربه من بعيد، ولا أحد منهما يستطيع تفسير إحساسه..

لكن إلى متى ؟!

نظرت إلى القمر مرة أخرى، وهمست له بأسرارها التي لا يعلمها سواهما فقط:

"أنا مش عارفة إيه اللي بيحصل لي ده ! أول مرة شُفته فيها اتخضيت، افتكرته واحد بيعاكس لما طلع لي فجأة كده، بس.. نظرته وابتسامته فيهم حاجة غريبة أووي شدتني ليه ! حسيت اني عاوزة افضل بصة له على طول، حسيت بأمان غريب أوي عمري ما حسيت بيه في حياتي! الموضوع مستمرش أكتر من لحظة، بس إحساسي باللحظة دي كأنه سنين، مش عارفة ازاي بلاقيه ورايا في كل حتة كده، بس نا ببقى مبسوطة أوي لما بيبقى موجود، ببقي لماحه وحاسة بيا حوليا، مش عارفة هو بيعمل كده ليه؟! ومش عارفة إيه اللي انا حاسة بيه ده ، ومش عارفة آخرة الإحساس ده إيه ! أنا حتى معرفش اسمه ايه، أنا مش عارفة أي حاجة بس حاسة اني مبسوطة أوي، مش هشغل بالي بالتفكير كتير، انا ما بصدق افرح ..... "

تنهدت وألقت نظرة أخيرة على قمرها وأغلقت النافذة، فتحت الباب بهدوء وخرجت إلى الصالة؛ حيث تلك الأريكة المستلقي عليها محمد، وجدت الغطاء مُلقى على الأرض، توجهت إليه وأعادت الغطاء فوق جسده برفقٍ ثم توجهت إلى الثلاجة الصغيرة، أخرجت

زجاجة مياه تجرعت منها القليل، أغلقتها وأغلقت الثلاجة وذهبت إلى الغرفة، استلقت إلى جوار والدتها، ظلت محدقة بسقف الغرفه المُشقَّق.

تحاول تخمين اسم ذلك الذي اقتحم حياتها فجأة دون سابق إنذار، مع كل اسم تتخيله كانت تبتسم، إلى أن غلبها النعاس وهي لم تصل إلى اسمٍ بَعد .

* * *

في ذلك المتجر الصغير، يجلس حسن على كرسي خشبي بجوار الحاج راضي الذي يُحدثه بحنان أبويّ:

- مالك يا حسن؟؟

انتبه حسن إليه، وابتسم بهدوءٍ قائلًا:

- مفيش يا حاج، سلامتك.

- لا في يا حسن، إنت بقالك فترة متغير، سرحان وساكت على طول، مش مركِّز في شغلك، بتغيب كتير معرفش بتروح فين، لا بتاخد معاك الشنطة تبيع البضاعة ولا بتقف في المحل حتى، لولا اني كلمتك وقولتلك إني عاوز اشوفك مكنتش جيت أصلًا.

نظر حسن إلى الأرض بخجلٍ ثم رفع عينيه إلى الحاج راضي قائلًا بحرجٍ:

- أنا آسف يا حاج، أنا عارف اني مقصَّر في شغلي الأيام دي بس

اوعدك...

قاطع الحاج راضي حديثه قائلًا بهدوء:

- أنا مش بقول لك كده عشان تعتذر، أنا عاوز اعرف مالك؟؟ إيه اللي مشقلب حالك كده؟

- .....

- إتكلم معايا يا حسن، ربنا يعلم أنا بحبك قد إيه وبعتبرك زي جلال ابني بالضبط.

- ربنا يخليك يا حاج، أنا كمان بعتبرك في مقام ابويا ربنا يعلم.

- طيب قول لي مالك بقى؟

زفر حسن بضيق ثم همس بحزنٍ وخجلٍ:

- أنا.. أنا.. بحب!

نظر إليه الحاج راضي لثوانٍ يستوعب ما قاله ثم انفجر ضاحكًا، وقال من بين ضحكاته:

- خضيتني يا شيخ أنا بحسب في مصيبة، كل ده عشان بتحب؟!! ومالك حزين أوي وانت بتقولها كده؟! هو الحب حاجة وحشة؟! قال ونبرة الحزن مازالت مسيطرة على صوته:

- وحشة لـ اللي زيي.

- يعني إيه اللي زيك؟!

- يعني اللي في ظروفي.

- مالها ظروفك يا حسن؟! ما انت شاب زي الفل اهو وبتشتغل وتكسب فلوسك من تعبك وشقاك.

- فضل ونعمة من عند ربنا، الحمدلله أنا مش مُعترض بس....

- بس إيه يا ابني، فهّمني فين المشكلة عشان اقدر اساعدك.

- ظروفي الحمدلله بقت أحسن بعد ما اشتغلت معاك يا حاج، بس متفتحش بيت برضو، متجيبش شبكة

متعملش أي حاجة ! الحب ده مصيره إيه؟؟ ما انا لازم اتجوزها، أتجوزها ازاي ومنين، هسكّنها فين؟؟ في الجحْر اللي انا عايش فيه؟! أنا مرضاش ابهدل بنات الناس معايا يا حاج، لسه قدامي كتير أوي على ما ابقى أد خطوة الجواز دي، بس انا فعلًا بحبها !، بحبها أوي وانا معرفش عنها غير إسمها، بس حاسس بحاجة غريبة أوي من ناحيتها بتشدني ليها، مش قادر ابعد نفسي عنها، بفضَل ماشي وراها منين ما تروح وبستنّاها عند بيتها بس بقف بعيد عشان محدش يشوفني وأول ما بلاقيها نازله بمشي وراها، أنا عارف إن اللي بعمله ده غلط وجنان، بس مش عارف اعمل ايه؟!

- إنت بتحبها للدرجة دي يا حسن؟؟

- أوي أوووي فوق ما تتصور والله يا حاج ومعرفش حبيتها كده إمتى ولا ازاي، ربنا زرع حُبها في قلبي من غير ما احس.

- طب ما اتكلمتش معاها في ظروفك؟؟

- لأ، أنا متكلمتش معاها ولا مرة أصلًا، كل مرة بيبقي معاها واحدة تقريبًا اختها، حتى لو مش معاها ولوحدها، أكلمها ازاي في وسط الشارع كده قدَّام الناس، وأقول لها ايه أصلًا؟! أنا كل اللي قدرت اعمله لما لاقيتها مرة نازلة لوحدها بعد غيبة طويلة خمس ايام مكنتش بتنزل فيهم ولا بشوفها كنت هتجنن، مشيت وراها ووقفت قدامها فجأة، حاولت اعمل أي حاجة غير إني ابص لعنيها مقدرتش، مشيت من قدامها بسرعة قبل ما حد ياخد باله، مشيت وبعدت عن عنيها حسيت ان روحي بتتسحب مني وانا ببعد عنها، بتقول عليا مجنون صح؟!

رفع رأسه ونظر إلى الحاج راضي الذي كان يستمع إليه باهتمام شديد، ابتسم له بحنانٍ وربت فوق كتفه وقال بحكمة ورزانة:
- لأ مش مجنون يا حسن، ميغرّكش اني راجل عجوز، أنا زمان كنت حَبّيب قديم، الحُب إحساس جميل محدش يقدر يعيش من غيره، ملوش وقت ولا سبب، بيجي فجأة كده، ولما تلاقيه المفروض متضيعهوش من إيدك.

تنهد حسن بيأسٍ:

- مش بإيدي.

- لأ بإيدك، إنت راجل يا حسن وحبك ليها مش عاميك، مش عاوز تظلمها معاك ولا تعيّشها عيشة مش مرتاحة، ربنا هيجازيك على نيتك دي. بس بردو إسعى يا عبد وانا اسعى معاك، متحطش إيدك

على خدك وتندب حظك ولا تفضل ماشي وراها في كل حتة وتسيب شغلك ومصالحك.

عاوزها، إسعى لها، اشتغل واكسب وحوِّش عشان تقدر تتقدم لها وتعيشها عيشة مرتاحة زي ما بتتمنى.

إسعي يا حسن، لازم تسعى، مفيش حاجة في الدنيا دي بتيجي بالساهل.

كلمات الحاج راضي أشعلت فتيل حماسة حسن، سيعمل لها ولأجلها، سيبذل كل جهده في سبيل الوصول إليها، لكنه لا يدري أن هُناك من ينافسه في الحصول عليها ، منافسة شرسة لا تعترف بالحب ولا تعرف عن المشاعر شيئًا.

* * *

جالسة في الصالة تشاهد التلفاز بجوار عمر وحبيبة، وجدت من يفتح باب الشقة بالمفتاح

تفاجأت عندما وجدت أنه إبراهيم، فسألته بدهشة وقلق:

- خير إيه اللي رجعك بدري من شغلك كده ؟!! هو حصل حاجة؟!

نظر إليها بطرف عينه وهو يخلع حذاءه بجوار الباب:

- لا مفيش حاجة، تعبت شوية قولت اجي اريّح وانزل بعد المغرب.

أتت شيماء على صوتهما، وسألته بنفس الدهشة والقلق:

- إيه اللي رجعك بدري كده يا إبراهيم ؟!

زفر بضيق وقال غاضبًا:

- هو انا كل ما حد يشوف وشي يسألني السؤال ده؟! مفيش حاجة قُلت اجي اريّح شوية وانزل تاني.

- طيب خلاص خلاص.

- فين ماما؟؟

سألها باقتضاب:

خرجت والدته من المطبخ وأجابته:

- أنا هنا يا إبراهيم .

جلس على الأريكة وأغلق التلفاز، تذمر كل من عمر وحبيبة اللذان كانا يتابعان التلفاز باهتمامٍ.

- خدي العيال وادخلي بيهم جوة يا شيماء.

- ليه ؟!

- عاوز اتكلم مع ماما وقمر في موضوع.

نظرت له بغضب وسألته ببرودٍ:

- وفيها إيه لما اسمع كلامكم يعني؟! هو انتوا هتقولوا أسرار؟؟!

- طب خدي العيال ودخليهم جوه، مش عاوز دوشة أنا دماغي مصدعه خلقة

حملت حبيبة، وأمسكت عمر من يده وأدخلتهما إلى الغرفة، وضعت أمامهما بعض الألعاب وأمرتهما بالهدوء؛ حتى لا يزعجان والدهما.

خرجت مسرعة إلى الصالة؛ حتى تستمع إلى ما سيُقال، وجدت والدة إبراهيم تجلس على الأريكة بجواره وقمر تقف أمامهما تنظر إلى إبراهيم بترقُّب، وقفت شيماء إلى جوار قمر وسألت إبراهيم بفضولٍ:

- ها يا إبراهيم، موضوع إيه ده؟!

صمت قليلًا ثم نظر إلى قمر وقال بهدوء:

- قمر جالها عريس.

حدقت به قمر في ذهولٍ وهبط قلبها بين قدميها:

أيعقل أن يكون هو؟!!

لا إراديًا وجدت نفسها تبتسم، ابتسم قلبها دون أن تجرؤ الابتسامة على القفز إلى شفتيها.

عقدت شيماء حاجبيها، وسألته بضيقٍ:

- هو مين ده بقى؟؟

- مين ده يا ابني، حد نعرفه؟؟؟

سألته والدته:

- أيوة يا ماما نعرفه.

شحب وجهها وازادت نبضات قلبها.

كيف؟!! هو ليس من المنطقة ولا يعرفونه، إذن ليس هو!!

سألته قمر بتوتر وصوت مهزوز:

- مين ده يا ابراهيم؟؟؟

- " كرم "

كلمة واحدة حطَّمت كل أحلامها، رمشت بعينها عدة مرات علها تستوعب الذي يحدث، ثم همست بذهولٍ:

- كرم !! كرم.. كرم ابن الحاجة يسرية ؟!

- أيوة هو، مالك مستغربة كده ليه؟!

تدخَّلت شيماء في الحوار كعادتها:

- ماله كرم، اللي اعرفه انه بيكسب كويس من شغله.

شعرت كأن دلوًا من الماء البارد سُكِبَ فوق رأسها

إذا وافق إبراهيم وأجبرها على الزواج منه كما أجبرها على ترك التعليم سابقًا، ستكون نهايتها حتمًا.

تجاهلت كلام شيماء ونظرت إلى إبراهيم وحاولت استجماع كل ذَرَّة شجاعة لديها:

- مستغربة عشان ده واحد مش كويس اصلًا وصايع وبيشرب وماشي يعاكس في بنات الناس، سُمعته زي الزفت في المنطقة كلها، مش معنى انه بيكسب فلوس من شغله إني اتجوزه يعني !!

نظرت إلى إبراهيم وجدته صامتًا، نقلت نظرها إلى والدتها وجدتها على نفس الصمت والسكون، صرخ قلبها بخوفٍ وعقلها برفضٍ: " لا لاااا مستحيل "

وجدت نفسها تبكي فجأة بعنف، نظر إليها إبراهيم بدهشة وسألها بحيرة:

- إنتي بتعيطي ليه يا بنتي دلوقتي؟!!

أمسكت بيده وهتفت برجاءٍ من بين دموعها:

- الله يخليك يا إبراهيم متجبرنيش اتجوزه، أنا مش عاوزاه، ده امه بيعاملها وحش جدًا يبقي هيعامل مراته ازاي؟! ده شكله يخوّف اصلًا، مش عاوزااه، مش عاوزاااه.

ظلت تهزي وتبكي دون توقف وإبراهيم لم ينبس ببنت شفة.. صمته يحرق أعصابها، تشعر بإحساس المحكوم عليها بالإعدام وفي انتظار صدور الحكم..

كلمة منه ستُحييها أو تقتلها..

قرر أخيرًا أن يرحمها من عذابها وقال لها بهدوء:

- أنا مردتش عليه لسه، أنا قلت له هنفكّر وارد عليه.

هتفت بسرعة:

- قول له اني مش عاوزااه يا إبراهيم.

تبادل إبراهيم النظرات مع والدته التي قالت بعد فترة صمت كبيرة
- اللي هو فيه ده طيش شباب، لما يتجوز هيعقل.

صرخت تلك المرة بقهر، وطرق عنيف على الباب أجفلهم، توجه إبراهيم إلى الباب وفتحه، وجدَه محمد:

- في اايه ؟!!! أنا سامع صريخ قمر من على الباب برة ؟!!

دخل ووقف إلى جوار قمر التي تبكي بعنفٍ وسألها بلهفة:

- في إيه يا قمر؟!

أجابته شيماء بتهكم:

- كل ده عشان جالها عريس.

نظر إلى إبراهيم الغاضب، بذهولٍ:

- عريس؟! عريس مين ده ؟!! وبتعيط ليه ان جالها عريس ؟!!

صاح بغضبٍ:

- أنا عاااارف المجنونة دي مالها عاملة كده ليه.

جلست قمر على الأرض وهي مستمرة في البكاء:

- عارف العريس ده مين يا محمد؟؟ كرم الصايع البلطجي اللي طول الوقت مسطول ومحدش سِلم من معاكسته وأذاه، أمك بتقول لي

لما يتجوز هيعقل، أخد واحد مجنون ليه أنا، طب افرضوا معقلش، أنا ذنبي ايه اتجوز واحد زي ده، حرام عليكوا، أنا عملتلكوا إيه.

توجه إبراهيم نحوها وأمسكها من ذراعها، أقامها من فوق الأرض وهدر أمام وجهها بعنف:

- ما تبطلي نددددب يا بت انتي بقى، هو انتي شيفاني قُلت موافق ولا ساحبك من إيدك موديكي على المأذون، أبو قرفك، بومة صحيح.

تركها فجأة لتصطدم بالحائط، وتوجَّه إلى غرفته هو وشيماء وأغلق الباب وراءه بعنفٍ.

لحقت به شيماء وتبقى بالخارج فقط قمر المصدومة ووالدتها ومحمد الذي لا يزال غير مستوعب لما يحدث.

* * *

داخل الغرفة ..

ساعدته شيماء في تبديل ملابسه وهي تتحدث إليه بهدوءٍ حتى لا تُثير غضبه أكثرّ:

- أنا شايفة انه عريس مناسب يا إبراهيم، ده هيعيشها عيشة مرتاحة أوي.

- مش عارف يا شيماء، فعلًا سُمعته زي الزفت ومش بيفوق من السطلان، أخاف اجوزهاله يرجعهالي مطلقة بعد كام شهر.

- يا راجل متقولش كده، بكرة اما يتجوز وقمر تجيب منه عيال هيعقل وبعدين هو لو وحش أوي كده مكنش زمانه بيشتغل ومعاه قرش، كان بقى صايع طول النهار على القهاوي لا شغلة ولا مشغلة.

- شغله ده الحسنة الوحيدة اللي فيه أصلًا.

- وانت مستهون بده، أنا من رأيي توافق .

- أوافق ازاي بس؟! إنتي مش شايفة المندبة اللي عاملاها برة.

- ده دلع بنات.

- لا مش دلع، ميتبصلوش الصراحة.

- يا سيدي واحنا هنعمل إيه بشكله، أهم حاجة يعيّشها مرتاحة وخلاص.

- يعني اعمل ايه يعني، أوديها له متكتفة؟! إنتي مش شايفة رافضة ازاي؟!

نظرت له بضيق:

- يا سلام؟! وانت من إمتى بتهتم أوي برأيها يعني، إنت مش زمان خرّجتها من المدرسة عشان الجواز، واهي جالها عريس اهي.

- أيوة بس مش كرم، وبعدين كل حاجة بالخناق إلا الجواز بالاتفاق، ما اشلش ذنبها أنا لما اجوزها غصب وتيجي لي مطلقة ولا مضروبة.

- مش هيحصل أصلًا. بطّل قلق انت بس.

- مش عارف.

- يعني هتوافق ولا لا؟؟

- ما انا بقولك مش عاااارف يا شيماء، إسكتي بقيي وسيبيني اتخمد لي ساعتين عشان اقوم اروح المصنع، اقفلي النور.

أغلقت المصباح، وظلت تنظر إليه وهو نائم بغضبٍ.. تشعر أنه يدلل قمر كثيرًا، تدليل يفوق قدرتها على التحمل.

كأن حقها في اختيار شريك حياتها يعد نوعًا من أنواع الرفاهيه والدلال المُبالَغ فيه !

* * *

ظلت ملتصقة بالحائط ترتجف بشدة ودموعها مستمرة في الهطول، اقترب محمد منها وأمسكها من ذراعها برفق وحاول تهدئتها:

- إهدي يا قمر، إبراهيم مقالش انه موافق عشان كل اللي انتي عاملاه ده.

نهضت والدتهما هي الأخرى، واقتربت حيث يقف محمد وقمر:

- مش فاهمة إيه اللي انتي فيه ده، الموضوع مش مستاهل ده كله. وبعدين انا مش شايفة كرم وحش للدرجة، صايع وبيعاكس عشان عازب، لما يتجوز هيتلم.

صاحت قمر بغضبٍ وقهرٍ:

- هو موضوع صايع وبيعاكس بس، وانه مستقوي بجسمه وماشي يبلطج على خلق الله وانه بيشرب على طول، وانه بيعامل امه وحش، واني مش موافقه ومش عاوزاااه أصلًا، كل ده مش مهم؟!! كل ده عشان معاه فلوس بس؟! حرام عليكوا انتوا عاوزين تجوزوني ولا تبيعوني ؟!!

همَّت والدتها بصفعها فتدخخل محمد وهو يمسك يدها بسرعة:

- لااا يا أمي بلاش كده، سيبيها تهدى بس وانا هتكلم معاها.

صاحت بغضب:

- إنت مش شايف بتتكلم معايا ازاي؟!! في واحده متربية تكلم أمها كده؟!!

قال نبيعها قال، الحق علينا اننا عاوزينها تعيش مرتاحة، وكل اللي هو فيه ده طيش شباب وقولنا بعد الجواز هيعقل ويبطل شرب، وملكيش دعوة يتبلطج ولا ميتبلطجش لما يمد إيده عليكي ساعتها ابقي اشتكي.

- يااا نهاار إسووود!!! وانا هستنى لما يمد إيده؟!! طب افرضي متغيَّرش ومعقلش، هعمل إيه انا ساعتها، ليه نحط نفسنا في الموقف ده، من قلة الرجالة اللي في الدنيا يعني؟!!!

صمتت قليلًا ثم همست بترجٍّ:

- إقفي جنبي يا ماما الله يخليكي لو إبراهيم وافق، أنا عارفة ان شيماء هتفضل تزن عليه عشان يوافق، هي عاوزه تخلص مني

وخلاص، بس انا بنتك وعارفة اني مش ههون عليكي تجوزيني لواحد زي ده.

أمسك محمد بيد والدته وسار بها تجاه الأريكة، أجلسها عليها ونظر لقمر بإشفاق:

- إدخلي انتي جوة يا قمر دلوقتي وبطّلي عياط، سيبيني مع امك شوية.

هرولت قمر نحو الغرفة، وأغلقت عليها الباب وارتمت فوق الفراش تبكي؛ خوفًا من مصيرها المجهول.

فُزِع حبيبة وعمر من رؤيتهما لعمتهما بهذا الشكل. قامت حبيبة من فوق الأرض وجلست على الفراش بجوار قمر.. لا تدري ماذا تفعل، ببراءة طفولية أخذت تربت على ظهرها يدُها الصغيرة، وتطلب منها ألا تبكي.

أحيانًا تكون في حاجة ماسة لأن تشعر بالأمان وببساطة لا تجده، فيصل بك الحال والحاجة إلى أن يدَ طفلٍ صغيرة تربت عليك بحنانٍ وبراءة كأنها تواسيك على طريقتها الخاصة وهي حتى لا تعلم ما بك، كفيله بأن تُشعِرَك بأمان العالم بأكمله..

غطت قمر في نومٍ عميقٍ ودموعها على وجنتيها، ربما تعبًا، ربما هربًا،

لكنها قررت أخيرًا أن تستسلم لعالم الأحلام.

* * *

- إنتي بجد موافقة على كرم ؟!!

سأل محمد والدته باستنكارٍ شديدٍ.

فأجابته بهدوءٍ:

- أنا شايفة ان حاله هيتصلح بعد الجواز، بس الرأي الأول والأخير لأخوك.

- طب وقمر؟!

- مالها؟؟

- مش موافقة، يعني حتى لو إبراهيم وافق هتجوزها غصب عنها؟؟؟!

- متسبقش الأحداث يا محمد، اخوك لسة متداش كلمة، أنا هقوم اكمل الغدا.

دلفت إلى المطبخ وتركته وحيدًا حائرًا: إذا وافق إبراهيم ما عساه أن يفعل؟! أيصمت مثلما صمت سابقًا على حرمانها من التعليم؟؟ لكن هذه المرة ستتحطم قمر كليًا لا محالة!

زفر بضيقٍ ودعا الله من صميم قلبه ألا يوافق إبراهيم حتى لا يضطر إلى التدخل هذه المرة ويحدث ما لا يُحمد عقباه.

* * *

ثلاثة أيام من الجحيم، لا تخرج من بيتها، لا يعلم عنها شيئًا، لا يراها، فقط يرى شيماء بمفردها، ودَّ لو استوقفها ليسألها عن قمر، يتوسل إليها كي تُريح قلبه.

كل فترة تختفي هكذا ولا يعلم السبب؟! فعلتها سابقًا وكاد أن يفقد عقله، غابت خمسة أيام، هل ستغيب تلك المرة خمسة أيام أيضًا؟؟

حيرة وقلق وحزن يعصف بقلبه.. تعوَّد على رؤيتها كل يوم، رؤية وجهها الملائكي هي من تعطيه الدفعة للعمل، بل تعطيه الدفعة للحياة بأكملها.

كيف يمكن لشخصٍ أن يتمكن من كل ذرة من إحساسك بتلك الدرجة؟؟ فرحك وحزنك

كيف يمكن لشخص أن يتحكم في عدد نبضات قلبك؟؟!

قلبه ينبض بالحياة فقط لوجودها في حياته، عليه أن يضع حدًّا لتلك المهزلة، مهزلة عذابه وحيرته.

سيتحدَّث إليها تلك المرة، فقط تظهر في حياته من جديد ووعد منه لن يضيعها ثانية.

* * *

في انتظار صدور الحكم، في انتظار قرار إبراهيم.. تعلم أن النقاش معه غير مُجدٍ، فتركته لضميره..

إذا وافق إبراهيم لن تستسلم تلك المرة ، العديد من الحلول البائسة طرقت على رأسها..

تقف أمام إبراهيم، تعارضه وترفض تلك الزيجة أمام المأذون؟! تهرب؟! تنتحر؟!

ثلاثة أيام تعيش في عذاب، لا تعلم على من تلقي اللوم.. على كرم الذي اسودت حياتها من يوم طلبه المُغرَّض؟ على أهلها الذين يعاملونها معاملة الجماد، لا يبالون بمشاعرها أو حتى رأيها وإن كان القرار مصيريًّا ستُبنى عليه حياتها القادمة؟؟ أم عليه هو...! من استحوذ على قلبها وتفكيرها دون حتى أن تعلم اسمه؟! كاد قلبها أن يتوقف من السعادة عندما ظنت أنه هو من طلب يدها من أخيها، لكن الرياح تأتي دائمًا بما لا تشتهيه السفن، لماذا لم يكن هو صاحب ذلك الطلب؟؟ لماذا لم يفعلها؟! لماذا تكرهها الحياة إلى تلك الدرجة ولا تريد أن تبتسم لها ولو لمرة واحدة في عمرها؟!!

لا طعام، لا شراب، لا نوم..

تجلس وحيدة في الغرفة دون أن تفتح فمها بحرفٍ واحدٍ مع أحدٍ بالمنزل، تستمع إليهم وإلى محاولاتهم لإقناعها بالزواج من كرم، تسمع ولا ترد، فقط تسجد وتدعو ربنا أن يلطف بحالها وتناجي قمرها ليلًا وتشكو له حالها.

* * *

ملّ الانتظار، متى سيتحدد موعد عقد القران؟ متى سيحصل على قمر في بيته؟؟ صبرَ كثيرًا ولن يصبر أكثر، المسألة مسألة وقت ليس

إلا، يثق تمام الثقة من موافقتهم، فلِم لا يخبره إبراهيم بالموافقة ليصطحب والدته إلى منزلهم ويطلب يد قمر رسميًا ويحددون موعد العقد؟!

فكَّر قليلًا، مممممممممم.. لابد أنهم يسيرون خلف تلك المقولة السمجة" التقل صنعة".. لن يعطي لهم الفرصة، سيقتحم منزلهم دون موعد ليطالب بحقه الذي لم يكن يومًا حقه!

* * *

طرقات على باب الغرفة أجفلتها، مسحت دموعها وأذنت للطارق بالدخول، وجدت إبراهيم أمامها بهيئته التي طالما أسرت رجفة في أوصالها، ابتلعت ريقها بصعوبة ونظرت إليه في استسلام. جلس على الفراش بجوارها وسألها بهدوء:

- إنتي لسه مُصرّة على موقفك ومش عاوزه تتجوزي كرم؟؟

أجابته بثباتٍ:

- أيوة.

نبرة صوتها ثابتة وقلبها يرتجف.

- طيب خلاص .

التفتت إليه بجسدها كله وسألته بخوفٍ غلب على نبرة صوتها التي خانتها واهتزت:

- خلاص إيه؟!

- خلاص مفيش جواز ! مش انتي مش عاوزاه؟؟ مش هجوزهولك غصب، حاولت انا وامك نقتعك وانتي مش راضيه تقتنعي، خلاص انتي حرة بقى.

دموع الحزن تبدلت لدموع فرحة من جملة واحدة تفوَّه بها ! الآن صدر الحكم بالعفو، الآن تستطيع التقاط أنفاسها نظرت له بامتنان شديد فبادلها بنظرة ضيق وتركها وانصرف. ظلت تقفز كالبلهاء من فرط السعادة ! كابوس كرم انتهى.. يبدو أن الحياة قد أشفقت عليها وقررت أن تكون رحيمة وتبتسم لها.. لكن هل ستستمر في الابتسام طويلًا؟؟ ومن يعلم..؟!

* * *

يجلس ليلًا مع شوقي صديقه في منزله، فشوقي يتيم وأعزب، جلساتهما لا تخلو من كافه أنواع مُذهبات العقل، بداية من السجائر المحشوة مرورًا بالخمر وحتى حبوب الهلوسة، يحلّقان بعقليهما بعيدًا جدًا عن أرض الواقع، عالم وهمي ينسجه خيالهما المريض وعقلهما المغيب.

وبعد أن ذهب عقلاهما بفعل الخمر وعدد لا بأس به من السجائر المحشوه ، أرخى كرم ظهره على الحائط خلفه وقال لكرم باستياء:

- أخو البرنسيسة لسه مردش عليا.

- اصبر شوية.

- لا مفيش صبر، عاملين فيها تقلانين على إيه مش عارف، تقولش هتجوز السفيره عزيزة.

- ههههههههههههه أجدع منها، ما انت هتموت عليها اهو.

- وهو انا هموت بعقل.

- طب خلاص استنى شوية وأكيد اخوها هيرد عليك.

صمت قليلًا، ثم هبَّ واقفًا فجأة، فسأله شوقي بدهشة:

- إيه يلااا مالك اتنطرت كده ليه زي ما تكون حية لدغتك.

أجابه كرم بعدم اتزان:

- أنا رايح

- رايح فين دلوقتي؟!!

- عندها..

- عند ميين يلاا، استنى هنااا.. رايح فيين؟؟؟

حاول شوقي اللحاق به لكنه ركض من أمامه مسرعًا.

* * *

ذهب إلى منزله وأبدل ملابسه على عجلة إلى بذلة بنية وقميص أصفر باهت ورابطة عنق لم تخلُ من لونٍ واحدٍ من ألوان الطيف!

استيقظت والدته على أصوات الجلبة التي أحدثها وسألته بدهشة:

- إنت رايح فين يا ابني الساعة دي؟!!

أجابها وهو يرتدي حذاءه الأسود:

- رايح ..عند ..قمر.

انتهى والتفت إليها قائلًا:

- قومي البسي عشان تيجي معايا.

قامت بصعوبة من الفراش واقتربت إلى حيث يقف ونظرت له بفزعٍ:

- قمر ايه اللي رايح لها دلوقتي دي؟!! إحنا قُرب الفجر!!! إستهدى بالله، وأول ما النهار يشقشق هروح معاك.

أزاحها من أمامه بغضبٍ وتوجه نحو باب المنزل قائلًا بحدة:

- يووووووووووووه، إنتي هتديني درس، خلاص خليكي، أنا رايح لوحدي.

لم توقفه توسولاتها وبكاؤها، انطلق في طريقه تاركًا خلفه تلك المسكينة تبكي وتدعو له بالهداية.

* * *

طرق عنيف على الباب أفزعهم وأيقظهم جميعًا من النوم. توجه محمد النائم على أريكة الصالة، نحو الباب وخلفه إبراهيم. نظروا إلى الواقف أمامهم بذهولٍ:

- كرم !!!!!

سأله إبراهيم بقلق:

- خير يا كرم، في حاجة؟!!! ايه اللي جايبك في الوقت ده وبتخبط كده ليه؟!!

نظر له كرم قليلًا ثم تجاوزه وهمَّ بدخول الشقة دون أي استئذان، فأمسكه محمد من ذراعه هاتفًا بغضبٍ:

- إنت دااااخل فين، هي وكالة من غير بواب؟!!

ثم أشار لوالدته وقمر وشيماء بالدخول إلى الغرفة. وما إن دخلوا حتى أفلت محمد ذراعه، أدخله إبراهيم إلى الصالة وجلس أمامه ومحمد يقف إلى جواره، سأله إبراهيم بنفاذ صبر:

- خييير يا بني آدم، انطق بقى، إيه اللي جايبك في الوقت ده !!

أجابه كرم بتلعثم:

- إحنا.. هنتجوز.. إمتى؟؟

تبادل إبراهيم مع محمد النظرات ثم سأله بهدوءٍ:

- قصدك مين؟؟

- هو في غيرنا يااا عم؟! أنا وقمر.

صاح محمد بغضبٍ:

- إنت جاي في الوقت ده وانت مش عارف تصلب طولك أصلًا، فزعتناا ومش مراعي حُرمة البيت اللي انت داخله عشان تسأل السؤال ده؟! يخربيت سطلاانك يا أخي.

ثم التفت إلى إبراهيم قائلًا:

- هو ده اللي كنت عاوز تجوزه اختك؟؟؟!!

نظر له إبراهيم ثم التفت إلى كرم قائلًا ببرودٍ:

- مفيش جواز يا كرم.

-إيه ؟!! يعني إيه؟! يعني إيه مفيش جواز ؟!! يعني مش هتجوز قمر؟؟!!

- لا مش هتتجوز قمر.

- ليييييه؟؟ !

- عشان هي مش موافقة.

هب واقفًا وصرخ بغضب

- يعني اااااايه مش مواااافقة؟!!

نفذ صبر إبراهيم تمامًا، وضع يده فوق فمه ليكتم صراخه وهدر أمام وجهه:

- هششششششش وطي صوتك ده، إمشي يا كرم ولما تفوق بكرة نبقي نتكلم.

دفعه نحو الباب بعنف وكرم يتلوى بين يديه:

- سيبني يا إبراااهيييم، أنا هوريكووووا، هي كانت تطووول إني اتجوزها أصلًا، أناا...

وقبل أن يُكمل تهديده كان إبراهيم قد ألقى به خارج المنزل، أغلق الباب وراءه وزفر بضيقٍ.

ظلَّ كرم يطرق على الباب بقوة ويسب بألفاظ بذيئة، لكن إبراهيم كان قد أوصد الباب جيدًا وتركه يسب ويطرق ويركل إلى أن يئس تمامًا، هددهم بتوعُّد ثم انصرف والانتقام هو كل ما يشغل تفكيره في تلك اللحظة.

كانت قمر تتنصت من خلف الباب الذي تعمدت تركه مواربًا وصوتهم كان بالعلو الكافي لتسمع كل حرفٍ يُقال بوضوح. خرجن الثلاثة من الغرفة وفجأة انفجرت قمر في الضحك، سألها إبراهيم بدهشة:

- إنتي بتضحكي على إيه؟!!

قالت من بين ضحكاتها:

- منظره مسخررة.. إيه اللي لابسه ده أصلًا، ومش عارف يجمع كلمتين على بعض ههههههههههههههههه.

أفلتت من محمد ضحكة رغم عنه وهو يقول:

- والله عندك حق، ده ضايع، الشرب لحس له مخه، الحمدلله اننا خلصنا منه.

قالت شيماء من بين أسنانها:

- والله أنا مش شايفاه ضايع اوي كده، هو بس الشرب اللي بيخليه عامل كده، لو بطّله هيبقي زي الفل.

هتفت قمر بغيظ:

- يبطل ميبطلش دي مشكلته هو بقي، إحنا ملناش دعوة.
تثاءبت والدتهم ثم قالت بتعب:
- يلا يلاا انتوا لسه هتتسايروا، روحوا كملوا نومكوا كلها ساعتين وتقوموا تروحوا أشغالكوا.
خلد الجميع إلى النوم مجددًا عدا هي، أبى النوم أن يداعب جفنيها، ظلت مستيقظة تفكر في مصيرها المجهول، نجت تلك المرة من براثن كرم بأعجوبة، فهل ستستطيع النجاة في كل مرة؟! إذا تقدَّم آخر وطلبَ يدها لن تتمكن من الرفض، هل ستستمر الحياة في الابتسام لها وتنول مرادها ويأتي من "عليه العين " لطلب يدها؟؟ أم أن الحياة ستدير ظهرها لها مُجددًا ويكون مصيرها في النهاية الزواج من أول رجلٍ يطرق باب بيتهم بعد كرم؟!
أهلكها التفكير في أسئلة بلا إجابات..
هو من جعلها تتعلق به، هو من جعل قلبها ينبض بحبه، هو من عرَّفها على تلك المشاعر من الأساس، عليه أن يحتوي مشاعرها الهوجاء مثلما بعثرها!

* * *

كعادته ذهب إلى حيث منزلها، لو تعلم تلك الحمقاء كم افتقدها لكانت أشفقت عليه مما هو فيه.
يحمل حقيبه الملابس ويدور بها حول المنزل، يبيع هنا وهناك لكن عينه وقلبه مُعلقين على تلك البناية الصغيرة التي تسكنها من سلبت روحه وخطفت قلبه من النظرة الأولى..

وأخيرًا رآها، تخرج من البناية وشيماء إلى جوارها، لكن المختلف هذة المرة هو تلك الصغيرة التي تحملها قمر؛ دمية صغيرة ملامحها تُشبه قمر كثيرًا، شعرها بني وناعم.

تساءل بداخله: هل قمر تملك نفس الشعر؟؟ هل سيتمكن من رؤيتها يومًا من دون حجابها؟؟

اشتاق إليها كثيرًا، هي من تفننت في إثارة قلقه وجنونه، لن يتركها هذه المرة، لابد أن يتحدث إليها، يعلم عنها أي معلومة جديدة غير اسمها.

نظر إلى حقيبه الملابس، حجته، ابتسم وسار نحوهم بهدوء،اقترب منهم وقلبه يخفق بجنون، أول مره يقترب منها إلى ذلك الحد، أول مرة يراها عن قُرب، تنحنح قليلًا إلى أن خرج صوته بشكل طبيعي وقال مُبتسمًا:

- صباح الخير.

ازدادت نبضات قلبها بشكلٍ مخيفٍ واتسعت حدقتا عينيها بذهولٍ..

إنه هنا، أمامها..

تراه وتسمعه، تشعر بقربه

أول مرة تراه عن قُربٍ، أول مرة تسمع صوته..

نظر إليها حسن بطرف عينه وأشاح بنظره سريعًا قبل أن تفضحه عيناه وينكشف أمره.

ردت عليه شيماء بهدوء:

- صباح النور.

تحدث حسن بلباقة وابتسامة جميلة تزين ثغره، أصبح وجودها مرتبطًا برؤيتها فقط:

- أنا إسمي حسن، شغّال تبع محل ملابس جاهزة في وكالة البلح، ومعايا لبس حلو أوي يناسب الأمورة الصغيرة، تحبي تشوفيه؟؟؟

اسمه حسن إذن، طالما فكرت في اسمه لكنها لم تصل إلى ذلك الاسم أبدًا، رغم ذلك فإنه أكثر اسم ملائم له.

- معاك لبس أطفال بس، معاكش لبس كُبار؟؟

- لا معايا.

- وأسعارك إيه بقى؟؟

- شوفي اللي عاوزاه ومش هنختلف على السعر خالص.

بين حين وآخر يُلقي نظرة على قمر، رغم العاصفة الهوجاء التي تدوي بداخلها لكن ملامحها يبدو عليها الثبات والوجوم.. ماذا بها؟؟ أليست سعيدة لرؤيته؟! لماذا لا تتحدث لتُسمعه صوتها؟؟

أفاقته شيماء من شروده على سؤالها:

- هتورينا الحاجة ازاي؟؟

- ها، اه، تعالوا احط الشنطة على العربية دي وافرّجكوا الحاجة.

ظلَّ يُخرِج قطع الملابس بحرفية، وشيماء تتفحصها قطعة قطعة بدقة، حاول إخراج قمر من صمتها

فنظر لها وقال مُبتسمًا:

- وانتي مش عاوزه تشوفي حاجة يا أنسة؟؟ في حاجات تناسبك كتير.

وجدت في نفسها الجرأة لترفع رأسها وتنظر إليه، ويا ليتها لم تنظر!

نظرتها كلها كانت لوم وعتاب صامت، لم يفهم معنى نظراتها، لكنها ألمته.

- خليك معايا، أنا اللي هاخد منك بس راعيني في السعر، خد امسك دول كده.

ناولته شيماء قطعتين من الملابس؛ واحدة لها والأخرى لحبيبة.

- معاكش هدوم تلبّس ولد تلت سنين؟؟

- لا مش معايا دلوقتي، بس المرة الجاية هجيب لك من المحل حاجات هتعجبك أوي.

صمت قليلًا ثم حاول استدراجها في الكلام:

- هو الولد الصغير ده يبقى ابنك بردو؟؟

أجابته دون تركيز وهي مُنشغلة بقطع الملابس أمامها:

- أيوة، عمر أخو حبيبة.

- ما شاء الله ربنا يخلي.

نظر إلى قمر وجدها على نفس الوجوم والصمت، زفر بضيق وقال مُكملًا استدراجه لشيماء:

- أنا شوفتكوا كذا مرة وانا بلف في المنطقة، مش الأنسة تبقي اختك بردو؟؟

- لا أخت جوزي، خد ده كمان يبقى تلات حتت شوف بقى هتحاسبني ازاي.

أخرج من جيبه تلك "النوتة" الصغيرة وأخذ يدوِّن بها أسعار ما أخذته شيماء دون تركيز، وعينه على قمر، التي التقت عيناها مع

عينيه من جديد ورمقته بنفس النظرة.. ستصيبه بالجنون كليًا تلك الفتاة!! ماذا فعل لها لتنظر له هكذا؟!!

دَوَّن الأسعار وتعمد أن يُخفض فيها عن الحد الذي يبيع به دائمًا حتى يُغري شيماء لتشتري منه دائمًا،

قلب الصفحة وخطَّ بقلمه في صفحه بيضاء جديدة ثم انتزع الورقة.

انبهرت شيماء بسعر الملابس الذي أخبرها به حسن، ووعدته بالشراء منه دائمًا .

وأثناء انشغالها بإخراج الأموال من حافظتها، اقترب حسن من قمر ووضع الورقة في يدها بعد أن طواها جيدًا.

سار في جسد كليهما رجفة عنيفة أشبه بالصعق الكهربائي ما إن تلامست أيديهما.

شعرت قمر أنها على وشك الإغماء في تلك اللحظة، سرعة تنفُّسها زادت بدرجة بائسة، نظرت إليهما شيماء فتظاهر حسن بمداعبة الصغيرة بينما أخفت قمر الورقة في جيب تنورتها السوداء.

أعطته شيماء النقود وانصرف كل منهم في طريقه.

وهو يحترق قلقًا لمعرفة ما بها وما سوف تكون ردة فعلها على الكلام المكتوب بالورقة، وهي تحترق فضولًا لمعرفه ما تحويه تلك الورقة!

* * *

ما إن عادوا إلى المنزل حتى هرولت إلى دورة المياه، المكان الوحيد الذي تجد فيه حريتها كاملة.

أغلقت الباب جيدًا، وأخرجت الورقة من جيب تنورتها، فتحتها بيدين مرتعشتين، وجدت بها جملة واحدة أو بالأحرى سؤالًا واحدًا:
" ليه بتبصي لي كده؟؟! "

وجدت الدموع طريقها إلى مقلتيها؛ الضغط النفسي الذي تعرضت له في الساعة الماضية أهلكها وأهلك قلبها.. فجأة تراه ويقترب منها، تسمع صوته، تعرف اسمه وأخيرًا يُمسك بيدها!!
عندما تذكرت تلك اللحظة تحديدًا ارتجفت يداها وقلبها.. رفعت كفها التي أمسك بها أمام وجهها ونظرت إليها بعدم تصديق.. كيف تجرَّأ على فعل ذلك؟! إنها المرة الأولى التي يلمسها فيها رجل؛ هناك فتيات لمسة اليد بالنسبة لهن شيء عادي وعابر يمررن به عشرات المرات خلال اليوم الواحد، وهناك أخريات لمسة اليد لهن بمثابة اقتحام لعالمهن المُنعزل عن أي اختلاط بجنس بني آدم، اقتحام يُربِك المشاعر ويحرِّك القلب الساكن.

حالة من الهياج الداخلي، مشاعر جديدة غريبة هاجمتها دفعة واحدة. احتضنت كفها بيدها الأخرى، وقرَّبته من قلبها الخافق علها تهدِّئ من روعها بعض الشيء.
طرقات على الباب أجفلتها وصوت شيماء دوى في أذنها كالمدفع:
- بقالك سااعة جوة يا قمر، بتعملي إيه كل ده ؟!! راعي ان في غيرك في البيت مش كددده.

احتاجت عدة ثوانٍ حتى استطاعت لملمة شتات نفسها:
- حاضر حااضر، طالعة اهوو.
طوت الورقة مجددًا وأخفتها في جيبها وفتحت الباب.. نظرت إليها شيماء شذرًا:
- ما بدري، كنتي كملي نوم جوة.
أجابتها بإرهاق:
- شيماء الله يخليكي أنا مش حِمل خناق دلوقتي خالص، الحمَّام فاضي اهو، إتفضلي ادخلي.
همَّت بالتحرك من أمامها، فجذبتها شيماء من ذراعها قائلة:
- مالك يا بت؟؟
ارتبكت قمر قليلًا لكنها حاولت التماسك:
- مـ..مالي يعني ... ما انا كويسة اهو!
- لا مش على بعضك كده من ساعة من خرجنا، وجيتي دخلتي جري على الحمَّام.
- عادي يا شيماء، بطني كانت وجعاني، فيها حاجة دي؟!

- لا ياختي مفهاش.
- أنا تعبانة ومصدعة، شكلي أخدت برد ، هدخل اريّح شوية.
وانصرفت من أمامها بسرعة قبل أن تستوقفها مرة أخرى.
دخلت الحجرة وأغلقت الباب خلفها، خلعت حجابها وشعرها الطويل انسدل بنعومة فوق ظهرها،
ارتمت بظهرها على الفراش وهي تحاول جاهدة تهدئة نبضات قلبها التي لا تريد أن تهدأ أبدًا..

سؤاله لا تستطيع الجواب عليه، إجابتها ستظل سرًا بينها وبين نفسها فقط..

سترد على سؤاله بسؤال، طالما حيَّرها وسألته لنفسها مئات المرات دون إجابة.

* * *

يوم الجمعة، هو ذلك اليوم المُقدس بالنسبة لـ "آل دهشان"؛ تتجمع العائلة كلها في منزل الأخ الأكبر "عرفان " على الغداء.

النساء تتجمع في الصباح الباكر كي تتساعدن في إعداد الطعام، والرجال يجلسون في أحد المقاهي المعروف بأنهم يذهبون إليه بعد صلاة الجمعة وممنوع أن يقترب أحدٌ من المقهى طوال فترة تواجدهم به.

كيف لهم أن يجلسوا مع هؤلاء الحثالة؟! كيف تتساوى رؤوسهم؟! ما إن ينصرفوا هم يُسمح لهم بدخول المقهى؛ نوع من أنواع البلطجة وفرض السيطرة، استعلاء لا مُبرر له.

يتعاملون بدونية مع الجميع، الكبير قبل الصغير يكرههم، لكن ذلك الكره آخر حدوده القلب، غير مسموح بأن يتعدى أكثر من ذلك. حتى الإستياء لا يجوز التعبير عنه، قهر وكبت وظلم وكافة أنواع الإيذاء النفسي، يمارسونه دون أن يرف لهم جفن.. يتساءل الناس بداخلهم: كيف يصلون ويكونون ين يدي الله وبمجرد خروجهم من المسجد يصبحون بمثل تلك الصورة المُفزعة؟! صلاتهم لم تعلّمهم شيئًا؟؟!

بالطبع لا، فمثل هؤلاء لا يؤدون سوى فريضة الجمعة؛ لأنها عادة ربما.

لو كان الإيمان تمكَّن ذرة منه من قلب أحدهم، فقط ذَرَّة، لكانت الرحمة وجدت طريقها إلى قلوبهم

لكن لا إيمان، ولا رحمة، فأصبحوا مجرد وحوش متجسدة في صورة آدمية.

انتهوا من الصلاة وذهبوا إلى المقهى كالمعتاد، وفي الرابعة عصرًا أتى لعرفان اتصال من زوجته تخبره أن الغداء أصبح جاهزًا.

* * *

شقة واسعة "يمرح بها الخيل " مكونة من أربع غرف كبيرة للنوم، غرفة للمعيشة تحتوي على تلفاز "بلازما" واحد وخمسون بوصة ، صالون بأثاثٍ فاخرٍ، سفرة أنيقة، مطبخ شديد الاتساع في منتصفه طاولة كبيرة، وثلاث دورات للمياه مساحة الواحدة فقط أكبر من مساحة شقة بأكملها من تلك الجحور التي تسكنها أسر عددها ثلاثة أضعاف تلك الأسرة !

اجتمعت العائلة على السفرة وتناولوا الغداء في جوٍّ مليءٍ بالمرح.. عجبًا، من يراهم خارج المنزل يظن أن الابتسامة لا تعرف طريقًا إلى ثغورهم والمرح لا وجود له في حياتهم.

تناول الرجال الشاي في الشرفة؛ كعادتهم بعد الغداء، ثم نادى عرفان على زوجته:

- آمااال، يا آمال.

أتت مسرعة من المطبخ:

- ايوة، بتنده ليه؟؟

- إحنا نازلين.

نظرت بدهشة إليه وإلى وهدان وعادل وصبري الواقفين إلى جواره.

- رايحين فين؟؟ مش هتاكلوا الحلو، دي فاطمة عاملة ام على اللي بتحبوها.

تقدم وهدان إلى الباب قائلًا:

- إحنا نازلين المعرض شوية مش هنغيب كتير، خلي فاطمة ومنيرة مينزلوش بالبنات غير لما نرجع.

* * *

أحد أكبر معارض السيارات في القاهرة، شراكة بين عرفان وشقيقه الأوسط، يوم العطلة والمعرض خالٍ من الموظفين والزبائن، أحكموا غلق باب المعرض بالمفتاح وجلسوا متقابلين على الأريكة الجلدية والكرسيين المقابلين تفصلهم تلك الطاولة الخشبية الصغيرة، وجَّه عرفان حديثه إلى عادل:

- إيه الأخبار؟؟

- كله تمام يا عمي.

- ناس تبعنا المرة دي؟؟

- أه تبعنا .

- والاتفاق على إمتى؟؟

أجاب صبري بثقة:

- يوم الاتنين، كله تحت السيطرة متقلقش.

ابتسم وهدان بفخرٍ:

- مش قُلت لك هيسدوا.

- عرفت تربي والله يا وهدان، رجالة يُعتمد عليها، مش كان سعد فضل هنا وشال معاهم الشغل، معرفش ركب دماغه وصمم يسافر ليه.

- سيبه على راحته بكرة يزهق من الغُربة ويرجع.

- ما هو بقاله تلت سنين، مزهقش ليه.

ربت عادل على كتف عمه قائلًا:

- إحنا جنبك اهو يا عمي والشغل كله ماشي زي الفل، وسعد مسيره هيرجع.

استمر حديثهم عن العمل أكثر من ساعة، ناقشوا فيها العديد من الأمور واطلعوا على بعض الأوراق، وما إن انتهوا حتى أغلقوا المعرض كما كان وعادوا أدراجهم إلى المنزل.

* * *

يجلس في غرفته يُدخن بشراهة، لا يستطيع استيعاب الذي حدث حتى الآن، رغم أنه مرَّ عليه أكثر من أسبوع.

بعد أن ألقى به إبراهيم خارج المنزل، سار خائب الرجاء وهو يترنح إلى منزله، وما إن رأى الفراش حتى ألقى بنفسه عليه وراح في سباتٍ عميق.

استيقظ اليوم التالي في الرابعة عصرًا، يشعر بصداعٍ عنيف يكاد

يفتك برأسه، صرخ في والدته أن تعد له فنجانًا من القهوة وهو يحاول أن يتذكر ما حدث معه بالأمس.

بعد أن احتسى القهوة، أبدل ملابسه التي لم يُبدلها من الأمس وتوجه إلى المصنع الذي يعمل به إبراهيم، سأله عمَّا حدث وأجابه إبراهيم ساخرًا:

- خبَّطت علينا قُرب الفجر وانت مسطول ومش عارف تجمّع كلمتين على بعض، إيه مش فاكر؟؟؟

- لأ.. فاكر.. بس مش فاكر ايه اللي حصل في الآخر. بس عمومًا أنا كنت متقّل في الشرب شوية بس ومش حاسس باللي بعمله وانت اتأخرت عليا في الرد أوي.

- يعني مش فاكر اني قولت لك إن قمر مش موافقة ومفيش جواز؟؟

بُهت من الصدمة وصمت قليلًا. نعم يتذكر إنه قال له ذلك لكنه ظنَّ أنها هلاوس.

- مش موافقة؟!! مش موافقة عليا انا؟!!!! ليه ان شاء الله؟!!

- هو كده، انت طلبت طلب وده الرد عليه، ممكن تمشي من هنا بقى عشان ده مكان أكل عيش، ويا ريت متقعدش تنط لي كل شوية.

ارتفع صوت كرم وهو يصيح بغضبٍ:

- أنا مش ماشي من هنااا قبل ما اعرف البرنسيسة مش موافقة عليا ليه؟؟ أكونش مش أدّ المقاااام؟؟؟؟ دي تحمد ربنا إني بصيت لها أصلًا.

أمسكه إبراهيم من ياقة قميصه وتحدث من بين أسنانه:
- وطّي صوتك واحترم نفسك ومتجبش سيرة اختي على لسانك تاني.
التفَّ حولهما عمَّال المصنع وهم يحاولون إبعاد إبراهيم عن كرم.
وما إن تمكنوا من إبعاده حتى صرخ كرم بجنونٍ:
- بتمد إيدك علياا يا ابراهيم، مااااشي، إماااا وريتك انت والسنيورة اختك اللي طالعة فيها دي مبقاش أنا كرم.
أشعل سيجاره أخرى وهو يزفر بغضبٍ ويتوعد بداخله أن ينتقم منهم أشد انتقام، لكن انتقامه سيكون في الوقت المناسب تمامًا !

* * *

في أشد الحاجة للحديث مع صديقها، صديقها الذي لا يظهر إلا ليلًا فقط. انتظرته يومها بفارغ الصبر، غفا الجميع وظهر هو..
وقفت أمام النافذة تتطلع إليه في صمتٍ، لأول مرة تشعر أنها عاجزة عن البوح بما يكنه صدرها. مشاعر وأحاسيس كثيرة مُتداخلة، صوته تردد في أذنها، ولمسته آااااه من لمسته، أذابتها وأخذتها إلى عالمٍ آخر، عالم بقيَتْ فيه للحظة لكنها تتمنى أن تبقى فيه سنوات بل إلى آخر العمر.
تنهدت وأغمضت عينيها ورأسها مرفوعة إلى قمرها، تُحدِّثه وهي حالمة، مغمضة العينين "طلع اسمه حسن، إسمه جميل، صوته حلو أووي، ولمسة إيده فيها إحساس غريب، كل ما بيقرب مني بخاف، وكل ما بتعلق بيه بخاف أكتر.

فتحت يدها وأخرجت ورقته، قرأتها ربما للمرة المائة، أخذت تبحث عن ورقة وقلم، خرجت إلى الصالة، وجدت قلمًا فوق المنضدة الصغيرة وورقة فوق الثلاجة.

أخذتهم وعادت إلى الغرفة، أسندت الورقة على خشب النافذة وخطت عليها سؤالها، طوتها ووضعتها في جيب منامتها القطنية، ستراه مجددًا وتعطيه ورقتها وتنتظر رده بفارغ الصبر.

* * *

مستلقيًا على ظهره في فراشه، واضعًا ذراعيه خلف رأسه، محدقًا في السقف يفكر بها، في سبب وجومها وصمتها، نظرة اللوم في عينيها قتلته.. على أي شيءٍ تلومه؟!!

ينتظر ردَّها على ورقته ويا ليتها تُجيب، سيراها كل يوم مستغلًّا انبهار شيماء ببضاعته، سيبيع لها حتى وإن اضطر للدفع من جيبه.. تلك هي الحجة المنطقية الوحيدة التي ستجعله يراها.. القريبة البعيدة، صعبة المنال.

سماء صافية ورمال بيضاء، يقف على الرمال ناظرًا أمامه لبحرٍ شفَّاف وصوت زقزقة العصافير هو المسيطر، فجأة تظهر هي في البحر من بعيد، بثوب زفاف أبيض منفوش، تقترب وتقترب إلى أن تتوقف فجأة وهي على بُعدٍ قريب منه، ينظر لها بلهفة يدعوها للاقتراب، لكنها تسمرت مكانها، فسار هو نحوها على الرمال، كل خطوة يشعر بثقل في قدمه، لكنه تابع إلى أن تبقت خطوة واحدة ويضع قدمه في الماء ليصل إليها، لكن ما إن تحرك ليخطو تلك

الخطوة حتى تحركت الرمال من تحته وغُرِسَت قدماه، اتسعت عيناها بصدمة وهي تنظر إليه والرمال تبتلعه، يحارب ويحارب كي يبقى لكن قوة أكبر منه تسحبه. قابل نظرتها المصدومة بنظرة رعب وهلع ، ليس خوفًا على نفسه وحياته بل خوفًا على فقدانها. ابتلعت الرمال جسده كله ولم يتبقَ سوى رأسه، ألقى عليها آخر نظرة قبل أن يُغمض عينيه وتبتلعه الرمال بأكمله، وآخر ما سمعه هو صوت صرخاتها وبكائها.

شهق بفزعٍ وهو ينتفض من فوق الفراش، ما أبشعه كابوس؟!! يُحرم منها حتى في أحلامه؟!!

استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وحاول التقاط أنفاسه بهدوءٍ، ظلَّ قابعًا فوق الفراش إلى أن سمع صوت أذان الفجر. توضأ وصلى في خشوعٍ، وأثناء ركعته الأخيرة دعا كثيرًا، دعا أن يرزقه الله لأجلها، وأن يجمعه بها في الحلال.

ارتاح بعد صلاته، لكنه حاول طرد ذلك الكابوس من تفكيره وفشل؛ فارتدي ملابسه قاصدًا المحل الذي يعمل به، سيلهي نفسه بالعمل، وسيلقاها، علَّ رؤيتها تطمئن قلبه وتُنسيه ذلك الكابوس.

* * *

استوقفته قبل أن يذهب إلى عمله:

- إبراهيم، يا إبراهيم.

فتح باب الشقة ونظر إليها بملل:

- عاوزة إيه يا شيماء.

- عاوزة فلوس.
- فلوس ليه؟! أنا مش لسه مديكي مصروف البيت أول امبارح؟؟
- أيوة، ما دي فلوس ليا مش للبيت .
- نعم يا اختي؟! فلوس ليكي يعني إيه؟!
- ااايه يا إبراهيم، عاوزة اجيب حاجة ليا، فيها إيه دي؟؟؟
- حاجة ايه دي ان شاء الله؟؟
- لبس.
- إنتي مش لسه جايبة امبارح بلوزتين ليكي وفستان لحبيبة؟! إلا ما افتركتيني معاكي بجوز شرابات حتى.
- يوووه، ما قولنا معندهوش لبس رجالي، دهْ انا حتى ملقتش حاجة لعمر والواد قال هيجيب لي من المحل.
- إنتي مش جبتي امبارح خلاص؟ عاوزة إيه تاني بقى؟؟
اقتربت منه وهمست له بدلال:
- عاوزة اجيب كام طقم بيت شُفتهم معاه امبارح عجبوني أوي واجيب طقم لعمر زي اخته.

- كام طقم بيت إيه؟!! هو انا قاعد على تل فلوس؟! وبعدين انتي بتشوفي هدوم البيت دي في الشارع عادي كده؟!!
همست بدلال أكبر تعرف مدى تأثيره عليه جيدًا:
- يا راجل وفيها إيه، هو انا يعني بقيسهم في الشارع، إحنا بنقف في حتة متدارية كده نتفرج على اللي في الشنطة، وبعدين الواد ده أسعاره لقطة أووي مش هنلاقيها في حته تانية.
طبعت قُبلة رقيقة على وجنته وقالت بإغواء:

- وبعدين يعني اللبس ده أنا هلبسه لمين، ما أنا هلبسهولك انت

لمعت عيناه ونظر لها برغبة، وضع يده في جيب بنطاله وأخرج حافظته، فتحها ونظر بها ثم نظر لشيماء بتردد:

- أنا مش متبقي معايا فلوس كتير يا شيماء، وقمر كانت عاوزة فلوس عشان...

وقبل أن يُكمل حديثه كانت سحبت الحافظة من يده وأخرجت ما بها من نقود.

- قمر إيه بس، وهي قمر هتعوز إيه يعني، أنا ست متجوزة وليا طلبات كتير.

وضعت حافظته في جيبه مجددًا وابتسمت له بهدوء:

- يلا يا حبيبي عشان متتأخرش على شغلك.

نظر لها بدهشة:

- انتي أخدتي كل اللي في المحفظة؟! أصرف منين انا؟!! وهناكل منين لحد آخر الشهر؟!!

- ملكش دعوة بموضوع الأكل ده، أنا هدبره، يلا انت بس عشان ما تتأخرش على المصنع.

خرج من المنزل وهو يضرب كفًا بكف متعجبًا من تلك المجنونة التي تزوجها.

* * *

نادتها بصوت أفزعها وأخرجها من شرودها.

- في إإإإيه يا شيماء؟! بتزعقي كده ليه؟؟؟!

- ما انا بقالي ساعة بنده لك، إنتي اللي طرشة.

- أوووووف، عاوزة إيه طيب؟؟

- قومي إلبسي؟؟

- ليه هنروح فين؟؟

- هنروح السوق ونفوت على الواد بتاع الهدوم ده، إنتي عارفة اخوكي مبيرضاش انزل لوحدي.

- حسن!!

هتفت بها دون وعي.

- أنا فاكرة اسمه إيه، بس أسعاره لقطة، تفتكري هنلاقيه فين؟؟

ابتسمت داخليًا، المسكينة لا تعلم إنهما لن تتكلفا عناء البحث عنه،

ستجدانه في أي مكان تذهبان إليه.

- أنا ايش عرفني ، بس هو بيلف بالشنطة في المنطقة، هتلاقيه في أي حتة يعني وإحنا ماشيين

- طيب قومي البسي.

تركتها وخرجت من الغرفة، وقفت قمر أمام الرف الموجود به ملابسها، ولأول مرة تحتار ما ترتديه؟!

نظرت إلى المرآة المعلقة على الحائط وحدَّثت نفسها:"إنتي مجنونة يا قمر؟!! منين مش طايقاه ومنين عاوزة تلبسي حلو عشان تعجبيه، من إمتى كنتي بتفكري بالشكل ده ولا في الحاجات دي؟! وبعدين لو مكنتش عجبتيه مكنش مشي وراكي كده من الأول، وبعدين... ده حسن مش أي حد، طب يعني انتي مبسوطة ولا زعلانة، بتحبيه ولا لأ؟؟ ؟؟ صمتت قليلًا ثم ردت على نفسها: بحبه بس زعلانة منه".

فجأة انفتح الباب ونظرت لها والدتها في ذهولٍ:

- بسم الله الرحمن الرحيم ! إنتي اتجننتي يا قمر، واقفة بتكلمي نفسك قُدَّام المراية؟!!

التفتت إليها وأجابتها بارتباك:

- ها، لا لا أبدًا مفيش، أنا..كنت بلبس اهو عشان اروح السوق مع شيماء.

- إنتي بقالك ساعة بتعملي إيه، مرات اخوكي لبست.

- خلاص انا هلبس على طول اهو.

- طب اخلصي قبل ما العيال يشفوها ويشبطوا فيها.

- حاضر، حاضر.

انتقت تنورة زرقاء وقميصًا أبيض وحجابها الأبيض زيَّن وجهها. نظرت إلى الورقة التي كتبتها له، تنهدت بعمق وأخفتها في جيب تنورتها.

* * *

يشرب " شيشته " في صمتٍ وإلى جواره شوقي.

- إنت هتفضل ساكت كده كتير

- إسكت يا شوقي، أنا مش طايقك ولا طايق روحي.

- وانا عملت إيه إن شاء الله؟!

- مش دي شورتك الهباب.

- الحق عليا اني كنت عاوز اريّحك من العذاب اللي انت كنت فيه ده!!

- وانا يعني دلوقتي مرتاح؟! ده انا حاسْس بناار.. ااااااااه، أنا يتعمل فياا كده؟!! أنا اترفض؟؟ ! ومن مين؟!! العيلة الجربوعة اللي مش لاقية تاكل دي، بيتبطروا على النعمة، دول المفروض يبوسوا إيديهم وِش وضهر إني طلبت اتجوز بنتهم أصلًا.. قال قمر مش موافقة قال، ليه؟! مش عاجبها في إيه انا البرنسيسة.

- مقلكش أي حاجة تانية طيب؟؟ مقلش إيه السبب، مش موافقة ليه يعني ؟

- لا مقالش، أصلًا...

صمت فجأة وجحظت عيناه، وتسمرت على نقطة ما أمامه.. نظر شوقي إلى مكان ما ينظر كرم، وجد قمر تسير إلى جوار شيماء، وقبل أن يفتح فمه، كان كرم انتفض من مكانه وركض نحوهما، قطع طريقهما وأصدر صوتًا أفزعهما، انتفضت شيماء وصرخت قمر

رغمًا عنها.

ابتسم كرم ابتسامة صفراء وهو يقول بلزوجة:

- إيه؟؟ خضيتك يا برنسيسة؟؟

نظرت له قمر بغضب واشمئزاز وقالت:

- في حد يعمل كده؟؟ عاوز اااايه انت؟؟ ؟

- عاوز اتكلم معاكي كلمتين.

- وانا مفيش بيني وبينك أي كلام واتفضل امشي بقى ميصحش توقفنا في نص الشارع كده.

- وانا مش همشي من هنا قبل ما نتكلم.

نظرت قمر إلى شيماء الصامتة تستنجد بها، فقالت شيماء بهدوء:

- خلينا نعدي يا كرم، مينفعش اللي انت عامله ده، لو عندك كلام ميتقالش في الشارع كده.

نظرت إليها قمر بدهشة وقالت بانفعال:

- لا يقوله في الشارع ولا مش في الشارع، ميقولوش خاااالص أصلًا، مفيش حاجة تتقال، إمشي يا كرم من هنا وسيبنا نعدي إلا والله هصوت والمّ عليك الناس وأقول انك بتعاكسني ومعترض طريقي.

ضحك كرم بسخرية وقال بغرور:

- لو صوَّتي من هنا للصبح، إنتي عارفة ان مفيش حد في المنطقة دي كلها يقدر يفتح بؤه معايا ولا يقول لي بتعمل إيه.

هتفت قمر من بين أسنانها بغيظ:

- لا في، إبراهيم اخويا، إنت عارف كويس إنه مبيهموش حد وهيخرب الدنيا لو عرف باللي انت بتعمله ده، وسع بقى.

- ماشي هوسع، بس مش عشان خايف من تهديدك الأهبل ده ولا خايف من اخوكي، عشان هجيبك يا قمر، هجيبك لحد عندي بمزاجك أو غصب عنك وقريب أوي كمان.

ابتعد عن طريقها وأفسح لهما المجال، نظرت قمر إليه شذرًا وركضت من أمامه مسرعة، لحقت بها شيماء وهي تهتف بأنفاس لاهثة:

- قمر، يااا قمممر، استني مش لحقاكي، إقفي بقى قطعتي نفسي.

لم تتوقف قمر إلا بعد أن ابتعدتا كثيرًا عن مكان المقهى. وقفت تلتقط أنفاسها، وقفت شيماء إلى جوارها تلتقط أنفاسها هي الأخرى.

- ممكن افهم بقى إيه الجنان اللي انتي فيه ده؟!!

- إنتي مشوفتيش الزفت ده عمل إيه يعني؟! مش عارفة طلع لي منين ده بس يااا ربي، وانتي التانية تقولي له لو عندك كلام ميتقالش في الشارع، كلام إيه اللي يقوله ده.

- أنا بقول له أي حاجة أسكّته بيها وخلاص عشان يسيبنا نعدي ولا عجبك وقفتنا في الشارع كده يعني؟!!

- ميقدرش يعمل حاجة أصلًا.

- لا يقدر يا قمر ويقدر أوي كمان ويا ريت متقوليش لاخوكي، مش ناقصين مشاكل، واتفضلي قدامي خلينا نروح نجيب الحاجة بقى.

سارتا إلى السوق وانتهيتا من الشراء، وقمر تتلفت حولها في قلقٍ، لم يأتِ! لم تراه !! أين هو؟ أيعقل أن يكون غاضبًا منها بسبب صمتها بالأمس؟ لماذا أعطاها الورقة إذن؟؟ أليس لديه الفضول

حتى لمعرفة ردها؟! اشتعلت غضبًا، لو رآته الأن لصفعته على وجهه و...

أفاقتها شيماء من شرودها وهي تسألها للمرة الثالثة:

- يخربيت السرحان والتوهان اللي انتي فيه ده، بقالي سااااعة بسألك.

- ها، معلش كنت سرحانة شوية.

- شوية إيه ده انتي سرحانة على طول، بقول لك الواد بتاع الهدوم ده هنجيبه منين دلوقتي، مش قولتي بيلف في المنطقة وهنلاقيه أكيد في أي حتة، فينه بقى؟!

أجابتها بضيق:

- إيش عرفني أنا راح فين، خلاص مش مهم النهارده.

- لا مش مهم إيه، كده الفلوس هتتصرف.

- وأنا اعمل ايه طيب يعني ؟!

أكملتا طريقهما إلى المنزل، وما إن اقتربتا حتى وجدتاه أمامهما، مستندًا على تاكسي قديم مغمض العينين وحقيبة الملابس على الأرض بجوار قدمه، مظهره يوحي بأن التعب قد بلغ منه مبلغه، أشفقت عليه وعلى حاله وغضبت من نفسها لأنها ظلمته وها هو ينتظرها هنا، هي من تأخرت عليه بسبب ذلك الوغد كرم.

- قمر، الواد بتاع الهدوم اهو، تعالي نروح له.

اقتربتا منه وما إن شعر باقترابهما حتى فتح عينيه واستقام في وقفته ونظر لهما مبتسمًا بتعبٍ:

- معلش اتأخرت عليكم، أنا اصلي روحت المحل من بدري اجيب اللي اتفقنا عليه بس لقيت زباين كتير فاضطريت استنى لما يمشوا.

حديثه موجَّه إلى شيماء لأنها من تبادله الحديث، ورغم عنه عيناه مصوبتان تجاه قمر.

- لا أبدًا مفيش حاجة، دي قمر قالت انك بتلف في المنطقة وهنلاقيك في طريقنا بس يظهر انك كل مرة بتبقى واقف هنا، المرة اللي فاتت بردو كنت واقف قدام شوية.

طار قلبه فرحًا، تتحدث عنه ! حتى ولو كان حديثًا عابرًا، تأتي سيرته، تفكر به، فكيف الحال لو نطقت باسمه!

نظر إلى شيماء وقال بارتباك:

- أه.. يعني هي بتيجي صدفة، كذا زبون بيشتري مني هنا فبقف شوية.

تفرك في يدها بتوتر، صوته يربكها، قُربه يربكها، تود الفرار من أمامه لكنها تريد البقاء!

غاضبة منه ومُشفقة عليه.

سعيدة لقربه وحزينة لغموضه.. روحها مطمئنة له وقلبها قَلق منه ارتباكها وحيرتها ظهرا جليًا عليها، التقت عيناهما للحظة.. الآن فقط فهمها: قلِقة.. خائفة.. حائرة، كيف يطمئنها وهو نفسه يعاني أكثر منها، كيف؟!

- طيب ورّيني بقى الحاجات اللي جبتها.

قطعت شيماء أفكار كليهما، أعادتهما إلى أرض الواقع.

رفع الحقيبة من على الأرض ووضعها على ظهر التاكسي، فتحها وأخرج ما بها، تقدمت شيماء وتناولت منه الملابس تتفحصها، وتركت المجال دون قصدٍ لقمر، حتى تخرج الورقة من جيب تنورتها بأيدٍ مرتعشة وتنظر حولها بطرف عينها وتتأكد من انشغال شيماء وتدس الورقة في يده.

* * *

قسم إمبابة، مكتب أنيق عليه لوحة معدنية كُتِب عليها: الرائد "ماهر القاضي"، يجلس خلف المكتب شابٌّ في منتصف الثلاثينات، بملامح حادة لكنها وسيمة، وذقن خفيفة زادته جاذبية، يتحدث في الهاتف:

- أيوة يا ريهام.. لا مش هتأخر.. يا ستي والله ما هتأخر.. حاضر، حاجة تانية؟ أوكي.. مع السلامة.

طرقة واحدة على الباب أعقبها دخول صديقه المقدِّم "طارق دسوقي"، جلس على الكرسي المقابل للمكتب وسأله:

- إيه، ماشي إمتى؟

- المفروض دلوقتي.

- طب خدني في سكتك بقي، أحسن عربيتي لسه في التوكيل.
- فل.
-إنت مروَّح ولَّا رايح في حتة؟
- لأ مروَّح، حمايا وحماتي معزومين على العشا عندنا النهارده.
- ممممممم، طيب يلا وحياة ابوك لو خلصت عشان انا ميت من التعب.

استقلا السيارة، أوصل ماهر طارق إلى منزله وتوجه إلى أقرب سوبر ماركت وأحضر الطلبات التي طلبتها منه زوجته. فتح بالمفتاح ونادى بصوتٍ عالٍ:
- ريهاااام، يا ريهاااام.

هروت إليه زوجته من الداخل وأسرعت بوضع يدها على فمه:
- هووووش، وطي صوتك ده، ما صدقت ان البنت نامت.

نزعت يدها من فوق فمه، فأعطاها الأكياس التي يحملها بيده، دخلت بها المطبخ ودخل هو خلفها، وجدها تجهز للعشاء:
- نايمة بدري النهارده يعني.

- بدري إيه بس، دي طلّعت روحي النهاردة، ونامت بالعافية.
- أومال مروان فين؟؟ نام هو كمان؟
- لأ بيتفرج على الـ"تي في" في الليفينج.
- أوكي، هروح اشوفه.

استدار كي يرحل لكنه التفت إليها مجددًا:
- روما، ما تعملي لي أي ساندوتش في السريع كده، أحسن أنا جعان أوي.

- اصبر شوية وهنتعشي كلنا مع بعض، بابا وماما خلاص في الطريق. ذهب إلى غرفة المعيشة، وجد مروان يتابع التلفاز بتركيزٍ شديدٍ، جلس إلى جواره وداعب شعره بعبثٍ:

- بتتفرج على إيه يا مارو؟؟ مش هتسلّم على بابي؟ موحشتكش؟؟

ارتمى الصغير في أحضانه وطبع قُبلة على وجنته:

- لا وحشتني يا بابي .

- مقولتليش بتتفرج على إيه؟؟

- ده فيلم حلو أوي.

- فيلم ايه ده؟؟

- كلب الأسد.

- ميييين؟!!

- كلب الأسددد.

- كلب وأسد ازاي يا مروان؟! قصدك قلب الأسد.

- أيوة هو ده، شوف.

وقف في منتصف الغرفة على السجادة الوثيرة، وبدأ بالرقص والغناء بنفس طريقة بطل الفيلم وماهر ينظر إليه وقد تدلى فكُّه السفلي من الذهول وما إن انتهى من تلك الفقرة المضحكة إلى حدٍّ كبير حتى سأله ماهر:

- إيه يا مروان اللي بتقوله ده؟!!

- دي أوخنية يا بابي.

ردد كلامه ضاحكًا:

- أوخنية يا بابي؟!! أنا إبني على آخر الزمن يغني مهرجانات؟!!
حمل الصغير على كتفه وهو يكاد يموت ضحكًا وذهب به إلى المطبخ:
- إنتي يا ست ريهاام .
- وطوا صوتكوووووا ده، إنت مش هترتاح غير لو صحيت مايا يا ماهر! في إيه؟؟ !
- فاتك انتي الشو بتاع ابنك.
- شو إيه؟! ونزلوا بقى انت ماسك فرخة، مالك مشقلب راسه كده ليه؟!!
أنزل ماهر مروان أرضًا، وقال ضاحكًا:
- يعني هي الفراخ بتتمسك وراسها متشقلة؟؟
- أنا ايش عرفني، شو إيه ده اللي كنت بتقول عليه؟؟
- الباشا كان بيغني ويرقص، الرقصة بتاعه كلب الأسد.
تركت ما بيدها من خضروات تقطعها والتفتت إليهما ضاحكة:
- كلب إيه وأسد إيه، مش فاهمة حاجة.

صاح مروان بحماسٍ:
- ده الفيلم يا مامي.
- فيلم إيه بس، والله انتوا فايقين.
أنا خلاص خلّصت الأكل، يلا ساعدوني نحطه على السفرة برة، جدو وتيتة زمانهم على وصول.
على مائدة العشاء.
- وانت عامل إيه في شغلك يا ماهر؟؟

- الحمدلله يا عمي، كله تمام.
- ربنا يعينك، بتتعب أوي ودايمًا بتتأخر، لو هتفضل كده على طول ابقى جيب ريهام والولاد عندنا عشان ميقعدوش لوحدهم.
ألقت والدة ريهام بكلامها في وجه ماهر، الذي ردَّ من بين أسنانه بابتسامة صفراء:
- والله يا طنط ريهام المفروض عارفه ظروف شغلي كويس من قبل ما نتجوز حتى، والمفروض بردو ارجع بعد يوم طويل الاقي مراتي في البيت مش عند مامتها.
قالت بحِدّة خفية:
- والمفروض بردو انها متقعدش طول اليوم لوحدها وخصوصًا ان معاها أطفال مجننّها، لما بتيجي عندي بساعدها وبترتاح شوية.
- لو حضرتك عاوزه تيجي تقعدي معاها هنا عشان تبقي جنبها وتساعديها تنوري طبعًا البيت بيتك، بس مراتي متسيبش بيتها.
كالعادة في تلك المشاحنات بين ماهر وحماته، يقف حماه في صفه وتلعب ريهام دور المشاهد.

- خلاص يا سناء بقي، سيبي الولاد على راحتهم، هي ريهام كانت اشتكت لك؟!
- مش محتاجه تشتكي، أنا عندي عنين بشوف بيها، وشايفة بنتي تعبانة ازاي وكمان...
قاطعها قائلًا بحسمٍ وبنبرة حادة:
- خلاااص يا سناء قلت، إحنا جايين نتعشى معاهم ولا نعكنن عليهم؟!!

توترت الأجواء كثيرًا، تابعوا تناوُل الطعام في صمتٍ وما إن انتهيا من وجبة العشاء "المسمومة" تلك، كما أطلق عليها ماهر وانصرفا، حتى انفجر فيها صارخًا:

- وانتي بقى رايحة تشتكيني لأمك، وجيباها تهزقني وتسمعني كلمتين ؟!! فكراني عيل صغير؟؟ ؟

- ووطي صوووتك هتصحي الولاد.

تابع بصراخ أعلى غير عابئ بحديثها:

- أنا اتكلم زي مااا أنا عاااوز.

أمسكته من يده وسحبته خلفها إلى غرفة نومهما وأغلقت الباب، أخذت نفسًا عميقًا تحاول به تهدئة روعها، ثم تحدثت بهدوء بعض الشيء :

- أنا مشتكتش لحد يا ماهر، هي كل ما تكلمني تسألني فين جوزك اقول لها لسه مجاش، وهي أم وعارفة قد إيه تربية الولاد في السن ده صعبة وانا لوحدي بين اربع حيطان .

- أيوووووة رجعنا تااني لأم الندب ده، بقولك إيه يا ريهام، هي دي حياتي وظروف شغلي، أنا مضحكتش عليكي ولا خدعتك، إنتي عارفة ظروف شغلي من البداية ووافقتي عليها وعليا، متجيش تشتكي دلوقتي بقي. وبعدين حتى لو انا فاضي وقاعد في البيت يعني، هعملك إيه؟!! أابخ لك ولا احمّي العيال؟!!

- هو ده اللي ربنا قدّرك عليه ؟!

- اااااه، هندخل بقى في وصلة النكد والأسطوانة إياها؛ إنت مش معايا، إنت مش حاسس بيا، أنا بعمل كل حاجة لوحدي. بصي،

دي آخر مرة هكلمك فيها في الموضوع ده، أمك متدخلهاش في مشاكلنا ولا تحكي لها أي حاجة عن حياتنا خاااالص يا ريهام.

- انت مبتفهمش؟!!! قُلت لك مقولتلهاش حاااجة، هي اللي قالت كده لوحدها، هو إيه خدوهم بالصوت، بتغلوش على اللي انت بتعمله وخلاص فتقوم مزعق على أي حاجة؟!

أمسكها من ذراعها بعنفٍ، وقال بغضبٍ:

- إحترمي نفسك وانتي بتتكلمي معايا يا ريهام، إيه خدوهم بالصوت دي؟!! أنا مش محتاج اعمل كده أصلًا، ومش بغلوش على حاجة لأني مش غلطان، الراجل دوره يشتغل والست دورها تاخد بالها من البيت والولاد، مبتعمليش حاجة خارقة يعني، وانا مش شغال في بنك حضرتك عشان يبقي ليا مواعيد، يا ريت ترحميني وترحمي نفسك من اسطوانة النكد اللي كل شوية دي.

ترك ذراعها ودفعها لتسقط فوق الفراش، توجه إلى الدولاب وأخرج ملابسه، نظرت إليه بغضب:

- إنت رايح فيين؟؟؟

- خارج، افك من ام النكد ده شوية.

وقفت أمامه وهو يبدل ملابسه

- خارج إيييه؟؟ !! إنت لسه جاي.

أكمل ارتداء ملابسه دون أن يكترث لها، جلس فوق الفراش يرتدي الحذاء، جلست إلى جواره وهمست برجاء:

- خلاص يا ماهر أنا أسفة، والله ما كان قصدي، وانا مقولتش لماما حاجة فعلًا، بس خليك معايا متنزلش، أنا ما صدقت ان الولاد ناموا، عشان نسهر أنا وانت سوا.

ارتدى الحذاء ووقف أمام التسريحة يضع عطره ويرتدي ساعته.
- إسهري إنتي بقي، خلي نكدك ينفعك، أنا كنت جاي رايق وكويس وعمال اهزر، بس انتي إزاااااي بقى تفوّتي فرصة للنكد والعكننة؟!!
- وانا عملت إيه؟ والله مقولتش لماما، أحلف لك بإيه تاني عشان تصدقتي؟!
- حتى لو مقفولتيش المرة دي، إنتي دايمًا بتشتكي، هو انا مش عارفك؟! شوفي كام مرة نبهت عليكي وحذرتك من الموضوع ده، بس انتي ولا الهوا، ولا كأني بقول حاجة، خلي بقى امك تنفعك.
تركها خلفه تستشيط غضبًا وخرج بمنتهى الهدوء، استقل سيارته وأجرى اتصالًا قبل أن يتحرك:
- ألو.. انتوا فين؟.. طيب خلاص جاي.. سلام.
أدار محرك السيارة وانطلق قاصدًا هدفه.

* * *

الثانية عشر بعد منتصف الليل، في هضبة المقطم، يجلس في ركنٍ منعزل على كرسي بلاستيكي أبيض، هناك أصوات صخب آتية من بعيدٍ، لكن الصخب الدائر بعقله صوته أعلى بكثير من ذلك الصخب الذي أحدثته تلك الأغاني الشعبية التي قام بعض الشباب بتشغيلها في سيارتهم.
في يده ورقتها، التي خطت حروفها بيديها: جملة واحدة من أربع كلمات، أو سؤال بمعنى أصح.. حفظ الحروف عن ظهر قلب

وحفظ طريقه كتابتها.. حيَّرته حروفها وأربكته أضعاف ارتباكه:
"إنت عاوز مني إيه؟! "
يريدها، ويريدها، ويريدها ولا يريد أي شيءٍ سواها..
أحبها، بل عشقها منذ الوهله الأولى..
ويا ليتها تعلم مقدار عشقه لها..
لكنه عاجز عن إخبارها، عاجز عن طمأنة قلبها..
كيف يُطمئِن قلبها وقلبه نفسه خائف؟!
لو كانت ظروفه أحسن من ذلك قليلًا، لو كانت الحياة رأفت به قليلًا فقط..
حرب شوارع دائرة بداخله..
صراع عنيف، قلبه يحثه على إخبارها وعقله يرفض..
" مش بتحبها ! يبقي لازم تقول لها "
" ولما تعرف وتتعلق بيا؟! "
" وهي لسه متعلقتش ! ما هي شيفاك وراها في كل حتة"
" أنا مش قصدي اخليها تتعلق بيا، أنا بس مش قادر ابعد عنها "
" قصدك ولَّا مش قصدك، أهو ده اللي حصل "
" أيوة، بس هي مش عارفة اني بحبها "
" مين قالك؟؟ "
" سؤالها "
" مُغفّل، هي بتسأل مش عشان مش عارفة، بتسأل عشان تسمع الكلمة اللي هي نفسها تسمعها"
" طب وبعد ما أقولها! ما انا المفروض اتقدم لها "

" ما تتقدم ! "

"أتقدم إزاااااي بس، منين؟!! أنا بالعافية ممكن اقدر احوّش تمن دبليتين، وهو الجواز ده مش محتاج مصاريف، ولا هتجوزها اجوّعها يعني؟! ده إذا أهلها وافقوا أصلًا "

"الحب مفيش قوة في الدنيا تقدر تقف في وشه"

"ده كلام أفلام وروايات، ميأكّلش عيش في زمانّا ده "

"إنت عاوز إيه من الآخر يعني؟ "

" عاوزها في الحلال، وعاوز أسعدها، بس معايا مش هتبقى سعيدة معايا مش هتبقى مرتاحة، هتكره ظروفي وتكرهني وتكره اليوم اللي حبّتني فيه، عاوزها ومرعوب لا تضيع مني وحد غيري ياخدها "

وجد نفسه فجأة يصرخ بصوتٍ عالٍ، أخرج كبته كله في صرخته..

أحيانًا يضيق صدرك وتشعر بأنك تختنق، صدرك يؤلمك وقلبك يتمزق والهواء ينسحب من رئتيك ببطءٍ قاتلٍ..

تريد أن تصرخ، تبكي، تحطِّم أي شيء أمامك، وما إن تسنح لك الفرصة حتى تستغلها بلهفة، تتمثل في لهفتك في استعادة الهواء داخل رئتيك.

صرخ إلى أن بحَّ صوته، لم يكترث بنظرات الناس المندهشة من حوله، فقط فعلَ ما أراد أن يفعله في تلك اللحظة تحديدًا.

صار يتنفس بسرعة رهيبة كأنه كان يعدو منذ ساعتين دون توقُّف..

اقترب منه رجل بزجاجة مياه، مدَّ يده له بها وهو ينظر إليه بقلقٍ:

- إنت كويس؟؟

هزَّ حسن رأسه إيجابًا دون أن ينطق:

- طيب خد اشرب شوية مياه.

أمسك بالزجاجة وارتشف القليل، اطمأن الرجل عليه وتركه. هدَّأ من ثورة انفعاله وجلس على كرسيه ثانية، تطلع إلى السماء ونظر إلى القمر الذي يُشبِه قمره صعبة المنال؛ رائعًا وفريدًا وبعيدًا، مثلها تمامًا.

فكَّر بداخله، إنهما يعيشان تحت سقف سماء واحدة، شيء غريب يجمعهما،

أحبَّ النظر إلى السماء؛ لأنها تجمعه بها وإلى القمر لأنه يُشبهها، خاطَب القمر كأنه يُخاطبها: "بحبك يا قمر والله بحبك أوي، معرفش إمتى وليه وازاي حبيتك، مش عارف غير إني عمري ما اتمنيك حاجة أد ما اتمنيك، بحبك ونفسي اسعدك، عيونك دايمًا حزينة، أنا حاسس بيكي من غير ما تتكلمي، نفسي اشوف عيونك بتضحك، أنا بقيت شاعر بسببك، عمري ما كنت اتخيل إني اقدر أقول واحس بكل اللي انا حاسس بيه ده، أوعدك إني هعمل كل حاجة تقربني منك".

* * *

في نفس اللحظة، كانت تنظر من النافذة وتتحدث إلى قمرها وصديقها الغالي والوحيد، منذ أن دست في يده الورقة وهي لم ترَه ثانية، أين اختفى؟! ولمَ؟!

ألا يملك جوابًا على سؤالها؟؟ ! أيتهرب منها؟!!

اعتصر القلق قلبها، وكأن قلبها التقطَ كلماته إلى القمر وأراد أن يوصلها لها كي تهدأ وتطمئن. شعرت فجأة براحة وسَكِينة وهدوء، لا تعلم مصدرهم !

لكنه شعور رائع جعلها تبتسم للقمر وتنام قريرة العين مطمئنة القلب ربما لأول مرة في حياتها !

* * *

مرَّ أسبوع، لم ترَ حسن فيه ولم يكف كرم عن مضايقتها، وفي كل مرة تطلب منها شيماء ألا تخبر إبراهيم تجنُّبًا للمشاكل. كرهت كرم أضعاف ما كانت تكرهه سابقًا واشتاقت إلى حسن أضعاف ما كانت تظن أنها سوف تفتقده بكثير.

البيت في حالة سكون، الجميع نيام وإبراهيم ومحمد في أشغالهما، تجلس في الصالة أمام التلفاز، لكنها لا تنتبه إلى حرف مما يُقال فيه.. فجأة تنتفض من فوق الأريكة وهي ترى شيماء أمامها تحمل عمر، لم تكن منتبهة؛ فوجودها أمامها فجأة أفزعها.

- في إيه يا شيماااء؟!! خضتينيي .

- عمر تعبان.

قامت من مكانها وحملته من شيماء

سألتها وهي تقبّله:

- ماله؟؟ ما هو كويس اهو

- ماله إيه بس، انتي مش سامعة صوت كُحّته كل ده؟!

- طب ما تديله دوا الكحة.

- خلص، ونسيت أقول لإبراهيم يجيبه، صدره تعبان أوي وشكله هيبتدي يسخن كمان.

جسَّت قمر جبهة عمرو وبدأ القلق يتسرب إلى قلبها:

- ده دافي فعلًا.

- أعمل إيه انا دلوقتي بقى.

- خليكي جنبه، وانا هنزل اجيب الدوا بسرعة واجي.

- لا طبعًا، تنزلي فين؟! مينفعش .

- هنسيب الواد تعبان كده يعني ؟!! إبراهيم ومحمد هيرجعوا متأخر.

- أخوكي لو عرف انك نزلتي لوحدك في الوقت ده هيسوِّد عيشتنا.

- وقت إيه بس يا شيماء، الصيدلية جنبنا والساعة تسعة، مش متأخر يعني ولا حاجة، انتوا اللي نمتوا بدري النهاردة، وبعدين إبراهيم هيعرف منين اني نزلت، متقوليلوش عشان ميتضايقش وحتى لو عرف اني نزلت اجيب الدوا مش هيقول حاجة. أنا داخلة البس.

دخلت الحجرة على أطراف أصابعها حتى لا توقظ والدتها، ارتدت عباءة من خامة الجينز وحجابًا ورديًّا، لم تجد سواه في ظلام الغرفة.

أعطتها شيماء اسم الدواء والنقود:

- متتأخريش يا قمر.

- حاضر، هجيبه واجي على طول.

هبطت الدرج وخرجت من باب البناية الضيق، سارت تجاه الصيدلية القريبة، وجدتها مغلقة.

" إيه يا ربي النحس ده، الصيدلية التانية بعيدة، يا رب بس مشوفش الزفت اللي اسمه كرم ده في وشي".

سارت بتردد تجاه الصيدلية البعيدة، ناظرة للأرض كأنها تعد خطواتها، وصلت إلى الشارع الرئيسي، في منتصفه وجدت الصيدلية وعلى بُعد خطوتين منها فقط وجدت من يجذبها من ذراعها فجأة ويسير بها إلى أحد الشوارع الجانبية، صرخت بفزع من المفاجأة، لكنها ما إن نظرت إلى وجهه حتى صمتت من الصدمة..

إنه حسن، أمامها الآن، وحدهما في أحد الشوارع الجانبية.

ظلَّ صدرها يعلو ويهبط بجنون وهي ناظرة إليه غير مصدقة، وهو ينظر إلى تحديقها به بابتسامة عذبة مثل تلك التي أَسَرتْها أول مرة رآته بها.

استمر الصمت عدة ثوانٍ ولغة العيون هي التي فرضت سيطرتها منذ بداية اللقاء.

قطع حسن ذلك الصمت قائلًا بهدوء:

- أنا آسف اني شديتك بالطريقة دي وخضيتك كده.

- ......

- قمر، ردي عليا، إنتي هتفضلي ساكتة كده بردو؟؟

قالت بصوت متقطع وخفيض بالكاد التقطته أذنه:

- إنت..إنت..ازاي.. عرفت ان انا نازلة دلوقتي؟!

رقص قلبه فرحًا لمجرد سماع صوتها.

- أنا كنت واقف تحت بيتكوا وشُفتك نازلة بالصدفة، فضلت ماشي وراكي كل ده وماصدقت انك بعِدتي عن المنطقة عشان اعرف اتكلم معاكي بعيد عن عيون الناس هناك.

همست بذهولٍ:

- تحت..بيتنا !

- أيوة ، ما انتي شُفتيني كذا مرة.

أفاقت من تأثير الصدمة عليها وقالت بارتباك:

- أناا، أنا لازم.. لازم امشي.

اقترب منها خطوة وهو يتلفت حوله، وقال برجاء:

- قمر، أرجوكي إسمعيني خمس دقايق بس، أنا عارف ان وقفتنا كده مش صح وانا والله ما كنت مرتّب ان ده يحصل خالص، بس.. أول ما لاقيتك نازلة من البيت قدامي محستش بنفسي زي كل مرة ولاقيتني ماشي وراكي، ولما لاقيتك بعدتي كده مقدرتش امسك نفسي ومكلمكيش .

- إنت عاوز مني إيه !!

ابتسم قلبه؛ لأنه سيرتاح حالًا من الثقل الذي يحمله.

- ده نفس السؤال اللي في الورقة؟؟

- وانت مجاوبتش.

- عاوزة تعرفي الإجابة؟

نظرت له بترقب وصمت.. تكاد تفقد الوعي من فرط التوتر، دقات قلبها تقرع كالطبول.. ثانية واحدة مرت عليها كالدهر، أخذ نفسًا

عميقًا وحثَّ نفسه على الكلام، لا مجال للتراجع الآن.. سيُريح قلبه من عذابه ويُريح قلبها من حيرته،

قال بثقة وثبات قدر المُستطاع:

- بحبك، وعاوزك في الحلال، بس...

" بس" تلك الكلمة القادرة على القضاء على كل ما هو جميل..

ما قبلها حياه وما بعدها جحيم..

سألته بخوف ولهفة:

- بس إيه؟!!

صمت قليلًا يحاول ترتيب كلماته وأفكاره، نظر إليها ثم قال بوضوحٍ:

- أنا ظروفي المادية صعبة، مش عاوز ابهدلْك معايا، إنتي تستهلي كل حاجة حلوة وانا نفسي اسعدك يا قمر، أنا هوعدك بوعد وعاوزك قدامه توعديني بوعد.. موافقة؟؟

أومأت برأسها إيجابًا دون أن تنطق.

- وعدي ليكي اني هشتغل ليل نهار وهعمل كل اللي ربنا يقدّرني عليه عشان يبقى معايا فلوس أقدر اتقدم لك بيها، وأقدر اعيّشك عيشة مرتاحة واسعدك.

أرادت أن تصرخ بوجهه: السعادة ليست بالمال، يكفيني حبك، يكفيني وجودك إلى جواري، يكفيني رغبتك في إسعادي.. يكفيني أنت...

لكن حسابات العقل تختلف تمامًا عن حسابات القلب، تلك الجملة الشهيرة التي تكررت في مئات البيوت وعشرات الأفلام: "الحب مبيأكّلش عيش".

أرض الواقع تمثل اللون الأسود لوردية عالم الأحلام.

- وعدك ليا انك تصبري عليا وتستنيني.

همس برجاءٍ شديدٍ، كمن يختنق وكلمتها ستُعيد الأكسجين إلى رئتيه.

- إوعي تبقي لحد غيري يا قمر.

مستها كلمته وهزت قلبها وكيانها بأكمله.. نبرة صوته المتوسلة أوجعت قلبها عليه، حبيبها المسكين خائف من ضياعها من بين يديه!

- إوعديني يا قمر.

همس مجددًا برجاء أكبر:

وجدت نفسها دون إرادة منها تنطق بصوتٍ دافئٍ أثلج قلبه المحترق:

-أوعدك يا حسن.

وكان وعدها هو أروع ما سمعه في حياته، صرخت فجأة برعبٍ"

- يااا لاااهوي، الدوااا...

- دوا إيه؟! اااه صحيح، إنتي كنتي رايحة ناحية الصيدلية تعملي إيه؟!

أجابته بسرعة وهي تتخطاه وتهرول ناحية الصيدلية:

- أكيد مش بتفسح، إبن اخويا تعبان بجيب له الدوا.

انتظرها على باب الصيدلية إلى أن خرجت وفي يدها شنطة بلاستيكية صغيرة بها الدواء، نظرت له بقلقٍ:

- إنت لسه ممشتش؟؟

أجابها مبتسمًا:

- مستنيكي.

- طب امشي بقى، خايفة حد يشوفك معايا.

- الوقت اتأخر، عاوز اطمن انك روَّحتي.

- أتأخر إيه بس، مش متأخر ولا حاجة، إمشي يا حسن.

أطال النظر إلى عينيها، يحفظ ملامحها ويسعد بوجودها بقربه إلى آخر لحظة.

- يا حسن امشي بقي، أنا كده اتأخرت اوي.

قالتها بقلق بالغ هذه المرة، فأشفق عليها، قال بحنان:

- خلاص خلاص، أنا همشي اهو، بصي امشي انتي الأول.

- ليه؟!

- عشان ابقى مطمن عليكي.

- ليه؟ إنت هتعمل ايه؟!

- زي ما بعمل دايمًا.

- هتمشي ورايا ؟!

- عشان اطمن عليكي بس.

- لا لااا بلاش، إمشي بقى الله يخليك بجد انا بجد اتأخرت أووي.

- ليه طيب؟!!

- كده، أنا هتوتر وانا عارفة انك ورايا.

- طيب خلاص بلاش، بس عاوز أقولك حاجة أخيرة قبل ما تمشي.

- قول بسرعة؟؟

- لون الحجاب الروز ده حلو أوي عليكي، مع إنك في الحجاب الأبيض بتبقي شبه الملاك.

احمرت وجنتاها خجلًا بدرجة مستفزة للتقبيل، وجنايها أصبحتا شهيتين بدرجة حارقة.ابتسمت له بخجل شديد، فبادلها الابتسامة بابتسامة أوسع ونظرة عشق.

سار من أمامها ببطءٍ في الاتجاه المعاكس، تركها لكنه ترك قلبه لها قبل أن ينصرف،

تنفست هي بهدوء وارتياح وسارت تجاه المنزل، لم تكن تعلم أن حسن توقف بعد أن اختفى من أمام عينها وانتظر إلى أن أدارت له ظهرها وسار خلفها ببطءٍ وحذرٍ،

ولم يكن كلاهما يعلم أن هناك من يتربص بهم منذ بداية اللقاء بعينين كعينيْ الصقر.

* * *

في نادي صيد الدقي، تسير ريهام إلى جوار صديقتها في الممشى:

- الساعة كام يا سالي؟؟

نظرت سالي إلى ساعتها وأجابتها:

- أربعة ونص.

- فاضل نص ساعة والتدريب بتاع الولاد يخلص، هانت.

- مالك يا ريهام؟!

- مفيش، بس زمان مايا طلَّعِت عين ماما، عاوزه اروَّح اخدها.

- أنا مش بتكلم عن كده.

- اومال بتتكلمي عن إيه ؟!

- إنتي مش مظبوطة، في حاجة مضيقاكي، متخانقه مع ماهر؟؟

- مممممممم

- طالما ممممممممم يبقى متخانقين، مش عاوزة تحكي لي طيب؟؟

فضفضي جايز ترتاحي.

تنهدت ريهام بحزنٍ وشعرت أنها حقًا في حاجة ماسَّة إلى تلك الفضفضة قبل أن تنفجر.

- أنا تعبت بجد أوي، تعبت من كل حاجة، تعبت من غيابه المستمر ومن عصبيته ومن غموضه، تعبت من خلافاته مع ماما اللي دايمًا بتيجي على دماغي انا.

- طب بالراحة بس، إهدي كده وفهميني واحدة واحدة.

فجأة توقفت عن السير ووجدت نفسها تبكي، بكبت أسبوعين مضيا.

ربتت سالي على كتفها وسارت بها إلى خارج الممشى.

- تعالي نقعد، عشان تهدي كده وتعرفي تحكي لي في إيه.

جلستا على إحدى الطاولات القريبة من حمَّام السباحة الذي يتدرب فيه الأولاد، طلبت سالي من الجرسون شاي لها وليمون لريهام، قاطعتها ريهام قائلة للجرسون:

- خليهم شاي وقهوة مضبوطة لو سمحت.

و بعد انصراف الجرسون:

- من إمتي بتشربي قهوة يعني؟!

- أديني بقيت بشرب.

- يا بنتي متقلقنيش أكتر من كده بقى، إحكي لي اللي حصل. أرجعت ريهام ظهرها على الكرسي وعادت بذاكرتها أسبوعين وبدأت تقص على سالي كل ما حدث أثناء زيارة والدها ووالدتها وبعدها. استمعت سالي إليه بإنصاتٍ، وبعد أن انتهت:

- طيب مفهمتيهوش ليه إنك مشتكتيش وان مامتك قالت كده من نفسها.

- قلت ومصدقنيش.

- وبعدين؟؟

- ولا قبلين، الكلام ده كان من إسبوعين، ساب لي البيت ونزل كالعادة ومن يومها وهو بيعاقبني بغيابه أكتر، تقريبًا مش بشوفه. مروان قرَّب ينساه، وانا.. أنا مفتقداه جدًا، مفتقده لوجود جوزي

جنبي، أنا بعمل كل حاجة لوحدي مش حاسة بوجوده خالص، باكل لوحدي باقعد طول اليوم لوحدي ولو خرجت بخرج لوحدي من غيره، بنام بالليل لوحدي وهو مش جنبي، أنا بجد تعبت أوووي ومش عارفة انا غلطت في إيه أصلًا ولا هو بيعاقبتي على إيه، أنا مش طالبة غير وجود جوزي جنبي، كتير عليا ده؟!!! مش من حقي، بطلب شيء مستحيل مثلًا؟!

شغله.. شغله.. شغله.. أنا بجد كرهت شغله اللي دايمًا بيتحجج بيه في البعد عننا ده، ما كل الناس بتشتغل، بس محدش بيهمل بيته وحياته كددددده !!

كانت تتحدث بحدة وانفعال وما إن أنهت آخر حرف من كلماتها حتى انهارت في البكاء، تحملت فوق طاقتها، لا تستطيع الصمود أكثر. حاولت سالي أن تهدِّئ من روعها بكلمات مواسية، ليس لها أي معنى لكنها تُقال دائمًا في مثل تلك المواقف.

- معلش هو أكيد معذور.. شغله صعب الله يكون في عونه.. كل الرجالة عصبية كده.. مفيش بيت خالي من المشاكل، ومثلها من الكلمات عديمة النفع، لكنها يجب أن تقُال، علها تعمل على تسكين ذلك الألم ولو للقليل من الوقت، لكن التجربة أثبتت أنه يزيد من عمق الجرح أكثر، يراه صاحب المشكلة كلامًا هزليًا، ليس له قيمة، مبررات واهية لإراحة النفس ويا ليتها ترتاح !

ابتسمت ريهام بسخرية مريرة وعينٍ دامعة وهي تقول:

- عارفه المشكلة في إيه؟؟

نظرت لها سالي بحزنٍ على حالها وحثتها على الكلام:

- المشكلة اني بحبه، بحبه أووي، بحبه لدرجة الضعف، حبي ليه بيضعفني.

- إزاي يا ريهام؟؟

سألتها بدهشة:

- بخاف على زعله حتى لو معهوش حق والمفروض انا اللي ازعل، بخاف يسيبني ويمشي زي ما بيعمل دايمًا، بخاف اخسره. أنا باجي على نفسي عشان خاطره كتير أوي يا سالي، وخايفة بعدين مقدرش ، خايفه صبري يخلص .

- يا حبيبتي طالما انتي بتحبيه كده، حاولي تتكلمي معاه بالراحة، فهميه إيه اللي بيضايقك وانك قد إيه مفتقداه، كلميه بهدوء يا ريهام مش بعصبية وخناق، مش بلهجة عتاب.

- حاولت كتيييير بس مفيش فايدة، ببقي بتكلم بهدوء وأول ما بيتعصب مش بعرف اسيطر على أعصابي واتعصب انا كمان، حاسة ان التفاهم بينا بقى شبه مستحيل.

استمر حديثهما ولم تلحظا الوقت، فجأة وجدت ريهام مروان يركض نحوها بـ (برنص سبايدر مان) وقطرات الماء تتساقط من شعره الغزير.

- مامي.. مااااااامي، إنتي فيييين؟؟ !! أنا دورت عليكي كتير أوي.

نظرت إليه لثوانٍ بدهشة، وكأنها قد نسيته ونسيت التدريب ونسيت حتى المكان الذي تجلس به.

- مروان ! إنت خلصت التدريب؟!

- أه من كتير، وقعدت ادور عليكي كتير.

سألته سالي بقلق :

- اومال فين ياسين يا مروان؟؟

- عند البيسين، مش لاقي البرنص بتاعه.

ركضت سالي وخلفها ريهام ممسكة بمروان إلى البيسين، بعد أن تحمم الصغيران وارتديا ملابسهما.

- هتعملي إيه يا روما؟

- هروَّح بقى.

- ما تيجي نقضّي اليوم مع بعض، الولاد مبسوطين أوي وانتي محتاجة تغيري جو.

- إنتي جوزك مسافر؟؟

- أه يا بنتي أنا مقولتلكيش، أحمد عنده شغل في تركيا وبقاله إسبوع مسافر، ها بقى، خلينا نروح أي مول نتغدى والعيال تتبسط شوية.

- ومايا؟

- مالها؟؟ هي مش مع مامتك.

- أيوة، بس زمانها طلّعت روحها، مايا بقت زنانة ومتعبة أوي

- يا سيتي مش هنتأخر، كلميها طيب اطّمني عليها.

- أنا مش في المود خالص أصلًا يا سالي.

- عشان كده عاوزة اخرّجك، كلمي طنط بس اطمني على مايا وبعدين نشوف.

هاتفت ريهام والدتها:

- أيوة يا ماما.. آه خلّص التمرين.. مايا عامله إيه؟.. أصل سالي كانت عاوزة نخرج، هنروح أي مول نتغدى والولاد ينبسطوا شوية.. بجد؟.. مش تعباكي.. على العموم مش هنتأخر، لو في أي حاجة كلميني.. سلام.

* * *

في سيتي ستارز، نتاولوا الغذاء في الـ Food Cort

تركتا الولدين بعدها في الـ Playing Area

وتجولتا في أرجاء المول، حاولت سالي إلهاء ريهام ونجحت إلى حدٍّ كبير.

تكلمتا في أمورٍ عديدة تخص أحدث صيحات الموضة في الملابس وقصات الشعر ومستحضرات التجميل.

انتهيتا من فقرة تسوقهما، وأصر مروان وياسين على شراء لعبة جديدة.

بعد أن ابتاعتاها لهما.

- يااااه الوقت سرقنا أوي، ده انا قلت لماما اني مش هتأخر.

- طالما مكلمتكيش يبقي كل حاجة تمام.

- ربنا يخليكي ليا يا سالي بجد، أنا اتبسطت أوي باليوم، خرّجتيني من المود أنا كانت حالتي النفسية زفت.

- إنتي كلبة أصلًا، إزاي متكلمنيش طول الفترة دي، إحنا مش صحاب يا بنتي، والمفروض لما تبقي متضايقة من حاجة تحكي لي .

- أنا مكنتش قادرة اتكلم مع أي حد بجد، حتى ماما زهقت من سؤالي مالك، كانت عارفة اني أكيد متخانقة مع ماهر بس انا مقولتلهاش أي تفاصيل، ولا عمري كنت بقول والله.

- خلاص بقى انسي، ربنا يبعد عنكوا الشيطان يا حبيبتي.

- اللهم آمين ياا رب.

استقلت كل منهما سيارتها على وعدٍ بلقاءٍ آخر قريبٍ.

* * *

طرقت الباب، فتحت لها والدتها وهي تحمل مايا. ركض مروان إلى الداخل وقفز فوق قدم جده الذي يجلس في غرفة المعيشه يشاهد

التلفاز. حملت ريهام مايا من والدتها، احتضنتها وقبَلتها بشوق:

- وحشتيني يا حبيبه مامي.

جلست إلى جوار والدها على الأريكة، قبَّلته بسعادة:

- وحشتني يا حبيبي.

- وانتي كمان وحشتيني أوي انتي وزئرد الصغير ده.

قال ذلك وهو يداعب مروان الجالس فوق قدمه. جلست والدتها على كرسي الأنتريه الملتصق بالأريكة.

- إتبسطتي يا ريهام مع صاحبتك؟؟

- أه يا حبيبتي أوي الحمدلله، ومارو كمان اتبسط.

نقلت نظرها إلى مروان وسألته:

- مش هتورّي لجدو اللعبة بتاعتك الجديدة يا مروان؟؟

قفز الصغير من فوق قدم جده وأحضر لعبته التي تركها على باب الشقة منذ دخلها.

ظلت بصحبة والدها ووالدتها حوالي الساعة إلى أن بدأ مروان بالنعاس.

- اااااه، ده مروان هيبتدي ينام بقى وانا مفياش حيل اشيل الاتنين، هنزل أنا بقى.

نظرت إليها والدتها بإمتعاض وقالت بضيقٍ:

- ما تباتي معانا يا بنتي، انتي إيه اللي ينزلك دلوقتي لوحدك وتلاقي جوزك مش في البيت كالعادة.

شعرت بغصة في حلقها، لكنها حاولت إخفاء ألمها وهي تقول بهدوءٍ وابتسامة باهتة:

- معلش يا ماما لازم اروّح بيتي.

- ما هنا كمان بيتك!

- يا حبيبتي مش قصدي، بس ماهر ممكن يجي في أي وقت ولازم يلاقيني في البيت.

تدخَّل والدها قائلًا برزانة:

- سيبي البنت تروح بيتها يا سناء، هي معاها حق، جوزها لازم يرجع يلاقيها في بيتها، أنا هنزل معاها اوصّلها.

- مفيش داعي يا بابا، أنا معايا عربيتي، هروح على طول، حضرتك هترجع ازاي لوحدك، أنا اول ما اوصل هكلمكوا على طول متقلقوش.

حملت مايا وأمسكت بيد مروان الذي يحمل سيارته الجديدة باليد الأخرى ونزلت الدرج ومنه استقلت سيارتها وانطلقت إلى منزلها حيث زوجها الغاضب دائمًا.

* * *

حاولت إلهاء مروان طوال الطريق حتى لا ينام وتضطر إلى حمله، وصلت أمام البناية، صفت السيارة وفتحت حقيبة السيارة الخلفية، أخرجت منها حقائب المشتروات التي ابتاعتها. صعدت البناية ومروان قد أوشك على النوم على السلم، تجره خلفها جرًّا، ولسوء حظها المصعد كان معطلًا.

- اقف يا مروان دقيقة بس اطلّع المفتاح من الشنطة وهدخّلك تنام على طول.. خد امسك الشنطة دي كده حطها جنبك.

فتحت باب الشقة ودخلت ومروان أمامها.

ما إن أغلقت باب الشقة خلفها حتى سمْعت صوت ماهر يقول بلهجة عادية:

- كنتي فين يا ريهام وموبايلك مقفول ليه؟؟

استدارت ونظرت إليه بذهولٍ:

- مااااهر!!

- إيه الاذبهلال ده؟!

- إنت جيت دلوقتي ليه؟! خير؟ في حاجة ؟!!

نظر لها بدهشة:

- في إيه يا ريهام؟! جيت عادي يعني، مفيش حاجة.

- أصلك جاي بدري !

- خلّصت شغل بدري فجيت بدري.

- أهاا، أوكي.

- كنتي فين بقي؟؟ وليه موبايلك مقفول؟؟

- كنت ...

انتبهت إلى مروان الذي نام على الأريكة دون أي كلمة.

- طب دخَّل مروان أوضته ينام بس، وغيَّر له هدوه لو عرفت، وانا هحكي لك.

حمل ماهر مروان وأدخله إلى غرفته، خلع له حذاءه فقط وأحكم الغطاء عليه.

بينما دخلت ريهام إلى غرفتهما، وضعت مايا فوق الفراش وأبدلت ملابسها إلى فستان قطني قصير من اللون الأحمر بحمالات عريضة ويصل إلى أسفل الركبة مباشرةً.

دخل ماهر الغرفة وجلس فوق الفراش، حمل مايا الصغيرة وظلَّ يداعبها والأخرى تضحك بمرحٍ.

كانت ريهام تمشِّط شعرها أمام التسريحة وتنظر إليهما خلفها من خلال المرآة، لم تستطع منع ابتسامتها وهي تراه يداعب الصغيرة بحنانٍ.. كم تشتاق إليه وكم تفتقد وجوده في حياتها وكم تعشقه ! زوجها حبيبها، تحدت الجميع من أجل الزواج منه، عارضها الجميع، عدا والدها الحبيب؛ دائمًا يفهمها ويقدِّر مشاعرها.

رأى في عينيْ ابنته مدى عشقها لذلك الرجل، لم يفكر مثل الجميع ويعمم فكرة أن ضباط الشرطة "جميعم سيئون "، وافق رفقًا بقلب ابنته، ومن يومها وهي سعيد، تعيسة!

ذلك هو الوصف الوحيد الملائم لحالتها، جميع الأحاسيس المتناقضة تهاجمها؛ شعور بالسعادة فقط لكونها زوجته وأم لطفليه، وشعور خبيث بالتعاسة لجمود قلبه وبُعده، تصيبه حالات حنان ورومانسية مفاجئة لا تنكر، لكنها قليلة بقدر مثير للشفقة.

أفاقت من شرودها على صوته يناديها وعيناه مثبتتان على عينيها من خلال المرآة، التفتت له وسألته بقدرٍ مناسب من الانتباه:

- ها، كنت بتقول حاجة يا ماهر؟؟

- بناديكي بقالي ساعة.

- معلش سرحت شوية.

- طيب مش هتقولي لي كنتي فين؟؟

عقصت شعرها لأعلى على شكل ذيل فرس وجلست إلى جواره، أجابته بهدوءٍ ونبرة غلب عليها الحزن.

- مفيش، كنت في النادي مع سالي عشان تمرين مروان، وهي جوزها مسافر وزهقانة اقترحت عليا نخرج شوية نغيَّر جو والولاد يتبسطوا، فكلمت ماما اتطمنت ان مايا كويسة وروحنا سيتي

ستارز، إتغدينا واتمشّينا، وجبت شوية حاجات كده وبس، عديت على ماما أخدت مايا وجيت.

- مممممم، طيب ومكلمتنيش ليه تقوليلي انك هتخرجي؟؟ نظرت إليه نظرة عتاب صامتة تحمل الكثير والكثير، فصمت هو الآخر؛ ليس لديه نية للجدال أو المشاجرة

غفت الصغيرة على يده، فحملتها منه ريهام برفق لتضعها في فراشها في غرفة شقيقها، وما إن عادت حتى وجدت أن ماهر فتح محتويات حقائب تسوُّقها وأفرغ ما بها فوق الفراش.

نظرت له بضيق وهمت بلملمة محتويات الحقائب ثانية، فأمسك بيدها برفق، نظرت له بدهشة فبادلها النظرة بابتسامة هادئة.

- إيه؟؟ مكنتيش عاوزة توريني اشتريتي إيه ولا إيه؟؟

- لا عادي.

- أومال مالك قالبة وِشّك ليه؟؟

- مفيش يا ماهر.

أفلت يدها وقام يبدل ملابسه التي لم يبدلها إلى الآن. لملمت محتويات حقائبها وجلست فوق الفراش تنظر إليه بلا تعبير.

أنهى تبديل ملابسه ونظر لها:

- مااااالك يا ريهام ؟!! ساكتة ومسهّمة كده ليه؟!! ده انا قلت انك هتفرحي اني جاي بدري وهقعد معاكي، ده إيه الاستقبال الزفت

ده !

فجأة وبدون مقدمات، وجدت نفسها تركض إليه وترتمي بين أحضانه، اندهش في بادئ الأمر ثم ضمَّها إلى صدره وهي تتعلق بعنقه بقوة. ظلت تبكي وهو لا يفهم شيئًا، كانت أحضانه هي السبيل الوحيد لتهدئتها في تلك اللحظة، فأحكم ضمها إلى صدره جيدًا.

استمر الوضع على ذلك النحو إلى أن هدأت حدة بكائها وانتظمت أنفاسها الهائجة، أخرجها من بين أحضانه:

- ممكن اعرف بقى مالك؟؟

- وحشتني أوي !

- وأنا عشان وحشتك تعيطي ؟!

- إنت دايمًا بعيد عني

- يا ريهام ما انتي عارفة ظروف شغلي و...

وضعت يدها على فمه وهمست بترجٍّ:

- مش عاوزة اسمع كلام كل مرة عن شغلك، أنا مش مصدقة انك راجع بدري كده أصلًا، ومش عاوزه اضيَّع الوقت في كلام اتقال قبل كده مية مرة ومش هيفيد، أنا عاوزاك تعرف حاجة واحدة بس.

حملها بين يديه ووضعها فوق الفراش برفقٍ، جلس إلى جوارها وأخذها بين أحضانه:

- إيه هي الحاجة دي بقى؟؟

نظرت إليه بعشق العالم وقالت مبتسمة:

- إني بعشقك.

قبَّلها على ثغرها وهمس بخفوتٍ أمام وجهها:

- وإيه كمان؟؟

- نفسي تقلل من عصبيتك شوية، نفسي تحاول تفضّي نفسك شوية بس عشانا، أنا والولاد محتاجينك أوي يا ماهر، وانا بالذات، محتاجالك أوي أووي، والله ما بيبقى قصدي ازعّلك ولا بشتكي لماما منك، إنت اللي مرضتش تصدقني لما قولت لك، بس والله أنا... أخرس آخر كلماتها بقُبلته المباغتة، تلتها عدة قبلات أخرى انسابت على عنقها وشفتيها، استسلمت له بنعومة كعادتها وغرقا معًا في بحر هائج من الأشواق.

* * *

بعد منتصف الليل..

نظر إلى ريهام النائمة مبتسمة بين أحضانه، كم تبدلت وأضفت عليها الابتسامة بريقًا خاصًا.. سحب ذراعه من تحت رأسها برفقٍ كي لا يوقظها وقام متوجهًا إلى الخارج وهاتفه في يده، وجد فوق العشر مكالمات من نفس الرقم .

جلس على أريكة الصالون، أمسك بعلبة السجائر الموجودة على الطاولة أمامة، أخرج منها واحدة، أشعلها وقام بالاتصال بصاحب الرقم.

* * *

- عرفان..

- آيوة يا آمال.

- إتصلّي بسعد، وحشني.

- إنتي مستنياني لما ارجع من برة عشان اتصلِّك بيه، اومال انا جايب لك موبايل ليه؟؟

- مش بعرف استخدمه.

- اومال بنتك فين؟؟

- داخل عليها دور برد مفرهدها، إدتها برشام ونامت من بدري.

- طيب هتصلّك بيه، مع إن الواد ده ندل، مبيتصلش خالص، كأنه ملوش أهل يسأل عليهم.

- معلش يا اخويا معذور، شغله بياخد كل وقته، بيتعب أوي يا حبة عيني.

- وكان علينا من ده كله بإيه بس؟!! هو اللي صمم يسافر ويتغرّب ويشتغل لوحده.

أمسك بالهاتف واتصل بسعد، الذي أجاب في الرنة الأخيرة:

- ألوو..

وقبل أن ينطق عرفان، أمسكت آمال الهاتف من يده وقالت بلهفة:

- ألووو، أيوة يا سعد، إزيك يا حبيب امك، وحشتني أوووي، إخص عليك، كده تقعد كل ده من غير ما تكلمني.

أجابها ضاحكًا:

- إيه كل ده، واحده واحده عليا بس، أنا الحمد لله بخير، إنتي كمان وحشاني أوي أووي والله.

- واضح فعلًا اني وحشتك.

- معلش يا ست الكل، كنت مطحون في الشغل الأيام اللي فاتت والله.

- يا ابني ما انت اللي منشّف دماغك، عليك بإيه بس من الغربة والتعب ده، تعالى هنا وسط أهلك واشتغل مع ابوك، ده انت ابنه البِكري.

- يا أمي مش مسألة منشّف دماغي، أنا بس مرتاح في العيشة هنا مش أكتر واتعودت عليها، المهم طمنيني انتي عامله إيه ازاي صحتك وبابا عامل إيه؟؟ والبت كريمة؟؟

- كلنا بخير، ناقصنا شوفتك.

- هنزل قريب أوعدك.

- أما نشوف يا سعد، أبوك جانبي اهو هيكلمك وكريمة داخل عليها دور برد جامد خدت دوّا ونايمة.

- هااااتي بقى وكفاية رغي.

أمسك عرفان الهاتف من يد زوجته وتحدث إلى سعد.

بعد أن أنهيا الاتصال، نظر عرفان إلى زوجته وجدها تبكي.

- لا إله إلا الله !!، بتعيطي ليه دلوقتي طيييب؟؟؟

- الواد وحشني أوي.

- خلاص بقى، أهو قالك نازل مصر قريب.

- ربنا يرجّعه بالسلامة ياا رب.

* * *

مرَّ أكثر من شهر ونصف على آخر لقاء بينهما.

لقاء ..فاعتراف..فوعد.

تبدلت حياتها بعد اعترافه، عرفت السعادة طريقها إلى قلبها، ستفي بوعدها وتنتظره لأنها ببساطة لن تجيد إلا ذلك.

داعب مشاعرها بمنتهة الرقه وفجَّر الأحاسيس المكبوتة بداخلها، لترفع الراية البيضاء وتستسلم وتحسم صراعها أخيرًا لتجزم بأنها الآن تعشقه؛ فما تشعر به تعدَّى مرحلة الحب بكثير،رجولته أذهلتها، لا يتطلع إلا لسعادتها وراحتها، يعمل لأجلها هي، يشقى لأجلها هي، شعور ممتع للغاية أن تعلم أنك مصدر سعادة أحدهم؛ فكلٌّ منهما أصبح مصدر سعادة للآخر.

لم ترَه من يومها سوى مرة واحدة فقط، كانت شيماء معها وابتاعت منه قميصًا لها.. كم أصبحت تحب شيماء الآن لأنها تجعلها تلتقي به دون أن تعلم.

دسَّ في يدها ورقته، اعتادت الأمر وعشقت أوراقه.

لم تتثنِ لها قراءتها سوى ليلًا، نام الجميع وبقيت هي والقمر. وقفت أمام النافذة وفتحت الورقة:

" وحشتيني أووي

أنا رجعت لورشة الميكانيكا اللي كنت بشتغل فيها قبل كده جنب شغل المحل، بقيت بشتغل ليل ونهار لو اتبقى في وقتي دقيقة واحدة هستغلها في أي شغل عشان خاطرك، مش هقدر اشوفك كتير زي الأول، ده رقم موبايلي..

مش عارف انتي عند موبايل ولا لا، بس حاول تكلميني وتسمّعيني صوتك

بحبك أوي يا قمر"

كلمة واحدة من أربعة أحرف تفعل الأعاجيب في الإنسان.

حمدت ربها وشكرته ألف مرة على ذلك الهاتف الصغير الذي تمتلكه، لم يكن له قيمة من قبل، لكنه الآن يعتبر أعز ما تملك. أحضرت الهاتف ودوَّنت رقمه، ظلت تنظر إلى الرقم وتشعر في رغبة ملِحّة في الاتصال به، لن تتثنى لها فرصة أحسن من تلك.

"إنتي اتجننتي يا قمر! عاوزة تتصلي بواحد في وقت زي ده؟! "

" بس وحشني أووي، نفسي اسمع صوته "

" ولو، مينفعش بردو "

" بس انا مش هلاقي فرصة أحسن من كده اعرف اكلّمه فيها، كلهم نايمين وإبراهيم مش في البيت "

حسمت أمرها وضغطت زر الاتصال.

ثوانٍ مرت عليها كالدهر قبل أن يجيبها.

- الووو ..

ارتجفت واهتز الهاتف في يدها، شعرت أن لسانها التصق في حلقها، لا تستطع الرد، شُلَّت تمامًا وشُلَّ تفكيرها،كادت أن تغلق الخط لولا أن سمعت صوته يقول بلهفة:

- قمرررر.

أجابته هامسة بصوت لم تسمعه هي شخصيًا، لكن أذنه التقطته بمهارة:

- أيوة.

- إزيك؟؟

- كويسة.

- ده رقمك؟؟

- أيوة.

- إنتي عندك موبايل؟؟

- أيوة.

سألها ضاحكًا:

- إنتي معندكيش كلمة غير أيوة؟

- لا بس...

- وحشتيني.

صمتت تمامًا، لن تواتيها الجرأة لقول أي شيء، كل شجاعتها وضعتها في قلبها كي تتصل به من الأساس.

- ساكتة ليه، قولي أي حاجة تطمن قلبي يا قمر.

نظرت إلى والدتها النائمة خلفها بقلقٍ وقالت بصوتٍ أكثر خفوتًا:
- كل ده لسه مطمنتش؟؟ أنا وعدتك وهوفي بوعدي معاك، هستناك يا حسن..

بعد أن أغلقت الهاتف، ضمته إلى صدرها وهمست بداخلها بكل شوقٍ وهيامٍ

" بحبك يا حسن ".

* * *

تعددت الاتصالات بينهما وكل اتصال لا تزيد مدته عن دقيقتين، فقط يطمئن كل منهما على الآخر ويسمع صوته ثم يغلق الخط. لا يفعل شيئًا سوى العمل، يضع القرش فوق القرش ويحلم؛ يحلم ببيتٍ صغيرٍ يضمه هو وقمر وطفله من صلبه ونفس ملامح قمر . يحلم بتكوين أسرة، يمدها بكل الحب والحنان الذي حُرِم منه.. أحلامه جميلة وبسيطة لكنها صعبة لمن في مثل ظروفه.

* * *

يوم من أيام الاثنين، الساعة الواحدة ظهرًا.

يسير حسن في شوارع إمبابة وقد أنهكه التعب، منذ الثامنة صباحًا وهو يتجول بحقيبة ملابس كبيرة في مناطق عديدة إلى أن قرر أخذ قسطٍ من الراحة والحب!

ذهب إلى هناك لرؤيتها دون أن يخبرها، ستكون مفاجأة لها، سيهاتفها ويطلب منها أن تتحجج بأي حجة كي تخرج ويراها، فقط يريد رؤية وجهها الجميل من بعيد حتى ولو لم يتمكن من الحديث معها حتى يستمد منها الطاقة ليصبر على شقائه.

شعر فجأة أن عضلات جسمه كلها تتشنج، ألم رهيب في عظامه، درجة الحرارة قد تصل إلى خمسين والشمس عمودية على كوكب الأرض.

في طريقه، وجد مقهى، شعر كأنه وجد كَنزًا، إن ظلَّ واقفًا لدقيقة أخرى فسيقع مغشيًا عليه من التعب.

دون تفكير أو تردد دخل إلى القهوة وجلس على أول كرسي قابله، لم يكن يلتقط أنفاسه بعد، حينما شعر بيدٍ فولاذية أحكمت قبضتها فوق كتفه.

التفت ليرى من الفاعل، فوجد شابين يقفان أمامه بهيأة مرعبة، عيونهما تقطر شرًا ووعيدًا، طولهما قد يصل إلى المترين، قويًا البنية بأكتافٍ عريضة وعضلات صدر وذراعين بارزة من تحت قمص ضيق مفتوح أعلاه، رأى ذلكما الشابين من قبل أو سمع عنهما ربما، لكنه في حالة لا تسمح له بالتذكر الآن، تساءل عن سر تلك النظرة الشرسة في عيونهما، ومسكة أحدهما له من كتفه بتلك الطريقة !! مُنهك لدرجة لم تمكنه من الوقوف، تطلع إليهما بدهشة وسألهما بقلق:

- في إيه؟!

وحاول إنزال يد ذلك الوحش البشري من فوق كتفه لكنه كان قد أحكم قبضته عليه جيدًا

- مش عارف في إيييييه يا ابن الـ ****

انتفض حسن من مكانه، أمه تُسب !!! أمه التي لم يرَها يومًا تُسب بأبشع السباب دون سبب !!

وقف أمامهما وسأل من سبَّه أو سبَّ أمه بالأحرى:

- إنت بتقول إيييه ؟!!!!

ردَّ الآخر:

- بيقول اللي سمعته يا **** عاجبك ولا مش عاجبك؟!!

وقبل أن يستجمع حسن قواه ليرد عليهما، باغته أحدهما بلكمة قوية على كتفه أرجعته عدة خطوات للخلف.

- إنت بتعمل إيه هنااا يلاااا ؟!! إزاي تتجرأ وتدخل القهوة دي؟!!! إنت مش عارف أن المكان ده مكان أسيادك؟!!

ودون أن يعطيا حسن فرصة للرد أو الاستيعاب، لكمه الآخر لكمة قوية في وجهه، أسالت الدماء من أنفه وفمه.

اشتعل حسن غضبًا، لا يدري ما الذي حدث فجأة، ماذا فعل وفيما أخطأ؟!!! يُسَب وتُسَبّ أمه المتواة ويُعتدى عليه بالضرب دون سبب !!!

استعاد توازنه وهمَّ بردّ اللكمة حتى تفاجأ بلكمة أخرى أقوى وأشرس، كل ذلك داخل المقهى الذي كان خاليًا تمامًا من الزبائن، وقع حسن على الأرض ووجهه أصبح ملطخًا تمامًا بالدماء.

قام من مكانه بصعوبة ونظر إليهما بحقد وغضبٍ شديدٍ:

- انتوا مييييييييييييين؟؟؟؟؟؟ وعاوزين مني إيييييييه؟؟؟

- معقول جاي المنطقة بتاعتنا ومش عارف احنا مين؟!!! ده انت تستاهل كل اللي يجري فيك بقى.

القلق بلغ مبلغه عند حسن، شعر بأن زوج الثيران اللذان يقفان أمامه الآن ينويان له على شرٍّ مُتعمَّد، رأى ذلك في عيونهما جليًا. استجمع حسن كل شجاعته وحاول تسديد أي ضربة إلى أي واحدٍ منهما لكنهما كانا مثل الجدار الصلب، لا يؤثر بهما أي شيء. تبادلا لكمه بمنتهى السلاسة، والأبشع من ذلك أنهما سحباه من ملابسه وجرَّاه جرًا إلى خارج المقهى وألقيا به على أرض الشارع.

تجمع كل من بالشارع، بل كل من بالمنطقة لرؤية ذلك الفيلم الأكشن المجاني.

قام حسن من فوق الأرض وهو يترنح ونظر حوله، شعر بذُلٍّ وخِزي لم يشعر بهما طيلة حياته، وذلك الكم الهائل من البشر يشاهدونه وهو يُسحق ويُهان دون أي ذنبٍ يقترفه!!

- إيه يلاا هتفضل واقف متنح كده كتير زي النسوان؟!! مش ناوي تدافع عن نفسك يا ****

نظر له حسن بغضب العالم وهجم عليه أطرحه أرضًا، تمكن من لكمه لَكمة واحدة فقط قبل أن يشعر بالاخر وهو يسحبه من ذراعه ويسحله على الأرض.

ظل يسحبه من ملابسه حتى منتصف الشارع، وقبل أن يتمكن حسن من النهوض حتى كان الاثنان يركلاه بالأقدام في كل مكان بجسده، شعر بأن عظامه تتكسر من شدة الضرب، استمرَّا بركله فوق العشر دقائق بأقصى ما لديهما من قوة، والجميع ينظرون إلى الموقف كأنهم يشاهدون فيلمًا من أفلام أحمد السقا، بأفواه مفتوحة وأعين جاحظة وسكونٍ تام.

كرامته تُنتهك مع كل ركلة وسُبَّة، ألفاظ بشعة لم يتخيل أن توجَّه له في يوم من الأيام.

الأفظع والأفظع في ذلك الموقف المأساوي هو صوت صرخة قمر التي ميزتها أذنه رغم كل ما هو فيه.. إنها هنا، تشاهده وهو يُضرَب ويُسَب وكأن ذلك الذي ينقصه الآن !!

لماذا أتت ومتي ؟!!

حاول أن يتحامل على نفسه وينهض، فلم يقوَ سوى على الارتكاز على ركبتيه، يتنفس بصعوبة بالغة ووجه تورَّم تمامًا، ألقى نظرة على قمر التي تقف وسط الحشود مصدومة، وجهها شاحب كالجليد ودموعها غرقت وجهها، تهمس باسمه بعجز، ليتها تستطيع مساعدته، ليتها تستطيع التخفيف من ألمه، نظر لها بانكسار

وضعف، شعر أن عليه استرداد كرامته، قمر هنا!! قمر تشاهده في ذلك الموقف المُخزي، عليه أن يثبت لها رجولته، عليه أن يظهر بمظهر قوي أمامها، لا يجب أن تراه أبدًا بذلك الضعف والذل!!

تحامل على نفسه أكثر وحاول الوقوف، وقف بصعوبة بالغة وهو لا يرى غير صورة قمر أمام عينيه،

كُسر أمامها، ظهر ضعيفًا وعاجزًا، سُحقت كرامته وتحطمت روحه. استجمع كل ذَرَّة قوة وشجاعة متبقية لدية وصرخ بصوتٍ مبحوح من شدة توعكه وهجم على الاثنين معًا، صار كالمجنون وهو يكيل لهما اللكمات والركلات دون توقف، كأنه قد أصابه مسٌّ من الجنون بالفعل، لكن الوضع لم يستمر طويلًا وتبدلت الأدوار ثانية، لكن تلك المرة بطريقة أعنف وأشد، إذ أمسك احدهما بعصاة خشبية غليظة وصار يضرب بها حسن بعنف في كل مكان بجسده، كانت العصا بها بعض المسامير التي أصابت حسن بجروح بالغة.

خارت قواه تمامًا، فسقط أرضًا بلا حراك.

لا يسمع سوى صوت صرخات قمر ولا يرى إلا وجهها بعينٍ زائغة، مثبّت ناظريه عليها رغم كل ما يعانيه، ينظر إليها بعينٍ مكسورة. لم يرحماه حتى بعد أن خارت قواه تمامًا وسقط، بل أمعنا في ذُلِّه وإهانته.

ابتعد واحدٌ منهما ينظر إلى حسن الملقى على الأرض بابتسامة ساخرة.

والثاني اقترب من حسن وبدأ يخلع عنه ملابسه ببطءٍ !!! بطءٍ متعمَّد ومدروس إمعانًا في ذُلِّه، شهقت قمر بعنفٍ وصرخت باستجداء:

- حررررررررررراااام عليكم، كفايااااااا، سيبوووووه بقسسى. حاول حسن مقاومة من يخلع له ملابسه على قدر ما استطاع لكنه فشل تمامًا.

أشاحت قمر بوجهها بعيدًا ، لا تقدر على رؤيته هكذا.

كادت أن تفقد وعيها من شدة الصدمه وقلبها يحترق ألمًا عليه خلع عنه كل ملابسه ولم يتركه سوى بالملابس الداخلية فقط. وبمنتهى الهدوء وقف ونظر إليه من علو، ثم انحنى وهمس في أذنه بكلمة لم يسمعها إلا هو.

نفض يديه وملابسه ونظر إلى الشاب الآخر، سار تجاهه وسار الاثنان مبتعدين معًا بمنتهى الهدوء !!!

كأنهما لم يفعلا أي شي!!

ما إن ابتعدا حتى التفَّ ذلك الجمع البشري حول حسن الفاقد للوعي، وقمر وقفت مكانها غير قادرة على الحراك، حتى دموعها تحجرت في عينيها.

تريد أن تغمض عينيها وتفتحهما مجددًا لتجد نفسها بالمنزل نائمة في فراشها وكل ما حدث كان بمثابة كابوس!!

رمشت بعينيها عدة مرات، فتحتهما وأغلقتهما مجددًا.. نفس المكان، نفس الصورة، نفس الأشخاص..

إذن هو حقيقة وليس كابوسًا!

هنا فقط انهمرت دموعها وركضت نحو حسن، وجدت أن الرجال قد ألبسوه جلبابًا أبيض لا تعلم من أين أتوا به، ويحاولون إفاقته. نظرت إلى وجهه المتورم بقلب دامٍ، ودَّت لو أخذته بين أحضانها وطيبت جراحه، لكنها لا تعلم أن جرح كرامته أقوى وأعمق بكثير من أن يطيب بين أحضانها.

لم يلحظ أحد ذلك المبتسم ابتسامة من الأذن للأذن والسعادة تكاد تقفز من وجهه. كان يتابع الموقف من بدايته، والسعادة بداخله تزداد وتزداد إلى أن وصلت إلى القمة. والجميع أصبحوا لا سيرة لهم سوى حسن الذي سحله عادل وصبري الدهشان!!!!!

* * *

يسير بجلبابه الواسع، منكس الرأس.. أي شعورٍ سيء وُجِد في الوجود هو يشعر به الآن..

ألمك يكون أشد وأصعب عندما تجد نفسك مضطرًّا لدفع ثمن أخطاءٍ أنت لم ترتكبها من الأساس وأي ثمنٍ هذا الذي ينهل من كرامتك وآدميتك!

بأي حقٍ يحق لشخصٍ أن يقتل غيره ثم يتركه حيًّا ليمضي في هدوءٍ!!!

ظن أن الحياة قد ابتسمت له أخيرًا، هاه مسكين !!

حرمته من حنان والدته، ثم كنف والده، وعندما وجد الحبيبة قرر هو بإرادته أن يحرم نفسه منها مؤقتًا؛ احترامًا لرجولته، وعندما ظن أنه يقترب منها، أبعدته الحياة عنها بمنتهى القسوة.

كيف سيتطلع إلى عينيها بعد الآن؟! كيف ستراه؟!! بالطبع سقط من نظرها بعد أن شاهدته في ذلك الموقف المُخزي، وعدها بالحنان والحب، لكنه غفل عن الأمان والحماية، ظن أن وجوده إلى جوارها سيحميها، لكنه اكتشف أنه عاجزٌ حتى عن حماية نفسه!! ظلَّ يسير بلا هدف، ومظهره يقشعر الأبدان، جثة متحركة!! الدماء هربت من وجهه بصورة مخيفة وأطرافه لونها أصبح مائلًا إلى الزُرقة، فجأة وجدَ نفسه أمام قسم إمبابة، نظر إلى القسم لثوانٍ ثم دون وعيٍ منه، دخله، علَّ الشرطة ترد له حقه المهدور.

* * *

يقف حسن أمام الرائد ماهر القاضي، ينظر له باستجداء والآخر ينفث دخان سيجارته في وجهه ويتطلع إليه وإلى هيئته بازدراء واضح.

- ها يا باشا، مش هتستدعيهم؟؟

ردَّ عليه ماهر بحِدَّة:

- أستدعي مين يا ابني انت؟!!

- ما انا قلت لسعادتك، عادل و صبري الدهشان ، أنا مكنتش واخد بالي هما مين بس سمعت من الناس بعد اما فوقت، أصل أنا ...

- خلاااص يا بابا، إنت هتعيد وتزيد في أم القصة دي من الأول تاني؟! ما خلاص قلت اللي عندك وعملنالك محضر، غور بقى وخلينا نشوف شغلنا ولو عوزناك هنبقى نستدعيك.

ظل واقفًا مكانه بلا حِراك، الصدمة شلت تفكيره وجمدت أطرافه.. بعد كل ما قصَّه على الضابط يعامله هكذا !! لم كل ذلك التحقير، هو المجني عليه وليس الجاني !!

ألا يرى وجهه المتورم المُلطخ بالدماء؟؟ أيخلع له الجلباب ليريه أثار الضرب على جسده؟! ألا يرى العرج الواضح في قدمه؟!! انتهاك آدمية المواطن وسحق كرامته أليست جريمة تستحق أن يعاقب عليها القانون؟!!

انتفض على صوت ماهر وهو يصرخ به:

- ما تغووووووور يا ابني انت من هنا بقي، هو احنا مورناش غيرك النهارده ولا إيه؟!!!

خرج من القسم يجر أذيال الخيبة خلفه، يفكر في حقه المهدور وكرامته المسحوقة، يفكر في حبيبته ويا ترى كيف تفكر به الآن ؟!!

كلما حاول استعادة المشهد ، وعينها المذعورة الباكية، يشعر بنصلٍ حادٍ يمزق قلبه، سار بلا أي هدفٍ، إلى أن ابتعد كثيرًا عن المنطقة.

* * *

قابعه فوق فراشها تبكي بانهيار، فشلت كل محاولات والدتها وشيماء في فهم ما بها أو حتى تهدئتها. خرجت لشراء بعض الاحتياجات الخاصة لها من محلٍّ بعيدٍ عن المنزل إلى حدٍّ ما، سمحت لها والدتها بصعوبة بعد أن ترجتها قمر كثيرًا، استغلت فرصة غياب إبراهيم ومحمد، ونوم شيماء، التي لو كانت مستيقظة حتمًا كانت لتتدخل كعادتها وتمنعها من الخروج متحججة بأي سبب، لا لشيء سوى لمضايقتها !

تأخرت في العودة، وما إن عادت، حتى ركضت إلى غرفة النوم وارتمت فوق الفراش تبكي كما لم تبكِ من قبل..

بكاؤها يزداد عنفًا مع الوقت!! ترتجف بشدة ووجها أصبح يحاكي الأموات في شحوبه.

- كلمي إبراهيم يا شيماء، يجي يشوف اخته فيها إيه !! البت بقالها أكتر من ساعتين مفحومة من العياط !!

- إبراهيم في شغله، لو كلمته هيهبّ فيَّا.

- ملكيش دعوة، اتصلي بيه وادهوني، ما انا مش هستنى أكتر من كده، البت عاملة زي اللي بتطلّع في الروح.

- وإبراهيم لو جِه هيعملّها إيه بس؟!

- يتصرف، يعمل أي حاجة، ناخدها أي مستشفي حتى، أنا بنتي هترووووووح مني.

- خلاص خلاص إهدي بس، أنا هكلمه اهو.

- كلميه وخليه يجي بسرعة الله يخليكي، شغله أقرب بكتير من محمد.

هاتفت شيماء إبراهيم وأخبرته باختصار بما حدث.

- هاا يا شيماء، قالك إيه؟؟

- قال جاي.

جلست أمينة إلى جوار قمر، تمسح على شعرها بحنانٍ.

- إستهدي بالله يا بنتي وفهميني مالك بس، حد ضايقك؟؟ طب المخفي كرم اتعرض لك وانتي ماشية ولا حاجة؟؟ ؟

لم يخطر ذلك الاحتمال على بال شيماء ! هي الوحيدة التي تعلم بمضايقات كرم لقمر وهي من أمرتها بالصمت، قفزت فجأة إلى جوار قمر على الفراش، جذبتها من ذراعها وحاولت رؤية وجهها.

- بت يا قمر، بصي لي، هو كرم اتعرَّض لك تاني؟؟!

سألتها أمينة بدهشة:

- تاني يعني إيه ؟!! هو كان اتعرض لها اولاني ؟!!

ارتبكت شيماء وردت بتلعثم:

- يعني هو كان بيرزل عليها في الرايحة والجاية كده.

- طب ومقالتش لييييه؟!! ده إبراهيم كان طين عيشته.

التفتت إلى قمر الباكية وسألتها بإلحاح:

- بت يا قمر الكلام ده صحيح، إتعرَّض لك وانتي نازلة ده اللي عامل فيكي كده؟؟ ؟

وحين لم تجد من قمر سوى الصمت وصوت بكائها فقط الذي يعلو، صرخت بغضبٍ:

- يا بت انطقي بقييييي، وجتعي قلبببي، قولي في إيييييه؟؟ ارتمت قمر في أحضان والدتها وازداد بكاؤها بدرجة بائسة. لم تجد أمينة حلًا سوى أن تحتضنها بشدة علها تهدأ بعض الشيء. استمر الوضع على هذا الحال وشيماء يكاد الفضول أن يقتلها لمعرفة ما الذي حدث وأوصل قمر إلى تلك الحالة.

صوت المفتاح في الباب أعقبه دخول إبراهيم، هرول إلى حجرة النوم ونظر إليهن بقلقٍ:

- في إيييه؟!! وجيبيني على ملا وشي ليه !!

- تعالى الحق يا إبراهيم، شوف حل في اختك اللي مفحومة من العياط دي من ساعة ما جت.

وقف أمامهن، نظر إلى قمر بدهشة وسأل والدته:

- جت منين ؟!

تطوعت شيماء بالإجابة:

- أصلها نزلت تشتري شوية حاجات من تحت.

زفر بغضبٍ وضيقٍ:

- ومن إمتى بنسيبها تنزل لوحدها يا ماما؟؟

- معلش يا ابني، كانت بتشتري حاجات ليها من تحت قريّب هنا ورجعت على طول، قلت اسيبها تفك عن نفسها شوية.

- مالها طيب ؟!! هو إيه النحس ده يا ربي، مش كفاية موضوع الخناقة الغريب ده.

سألته شيماء بفضولٍ:

- خناقه إيه؟؟

- مش عارف، وانا داخل المنطقة سمعت طراطيش كلام كده، إن عادل وصبري اتلموا على واد بيَّاع، ضربوه لما عدموه العافية وقلّعوه هدومه في نص الشارع.

لم تستطع قمر الصمود أكثر من ذلك، من دون وعي شهقت بعنفٍ وصاحت بحرقة:

- حسسسسسسسن.

التفت إليها ثلاثة أزواج من العيون المندهشة.. أفاقت شيماء من صدمتها من الكلام الذي سمعته وهتفت دون وعيٍ هي الأخرى:

- يا لااااهوي، ضربوا حسن ؟!!!! ليييه؟!!!

نظر إليها إبراهيم بغضب شديد:

- مييييييين حسن ده؟!! يا ما شاء الله، إنتوا الاتنين عارفينه؟!

- ده.. دددده ...

- ده إيييييييه، انطقييي.

- ده حسن اللي كنت بشتري من عنده الهدوم !!

وجَّه أنظاره إلى قمر وسألها بشكٍّ:

- إنتي كنتي هناك ساعة الخناقة؟؟

أومأت برأسها دون أن تجد في نفسها القدرة على الكلام.

- الخناقة كانت قدام القهوة يا قمر ! إنتي إيه اللي وداكي ناحية القهوة أصلًا؟!! هو ده اللي بتشتري حاجات قريب، روحتي لغاية القهوة !

ما هذا الهراء؟!! عن ما يتحدث ذلك الأحمق؟!! ألا يدرك حجم ألمها وحزنها، ألا يعي أنها تحترق حيَّة الآن!!

ذُلُّه وانكساره أوجعاها مثلما أوجعه، خلع قلبها من مكانه، نظرة عينه المكسورة أبدًا لن تنساها، جسده المسجى على الأرض، وجهه المتورّم الملطّخ بالدماء، يده المجروحة، لولا ذلك الجلباب لكانت

فقدت وعيها من منظر جروح جسده، مشاهد تتوالى على عقلها المسكين تُمزِّق قلبها وتحرق روحها دون رحمة.

- يا ابني إهدى بقى، هو انا جيبباك عشان تهديها ولا تتعبها اكتر؟!!

زفر بضيق ونظر إلى قمر، التي تكورت على نفسها وإهتزاز جسدها ملحوظ من بكائها الذي تحول إلى نحيب

جلس إلى جوارها وحاول التحدث بهدوءٍ:

- طيب انتي بتعيطي ليه دلوقتي مش فاهم بالضبط؟؟ خفتي من منظر الخناقة يعني؟؟

رفعت عينين مذبوحتين إليه، عينان تخبران كل من ينظر إليهما كم هي تعاني، همست بتقطع وصوت معذب:

- ضـ..ضربوه أوي يا.. إبراهيم.. أووي.. دول مش بني أدمين ؟!! إزاي.. إزاي حد ممكن يإذي حد بالشكل ده.. إزاااااي ؟!!

ودخلت في نوبة ثانية من البكاء المرير.

بعد ساعتين كانت قمر نائمة بإنهاك في فراشها، مُنهكة ذهنيًا وليس جسديًا، تركوها لترتاح وأغلقوا باب الغرفه عليها.

جلسوا في الصالة في صمتٍ تام، كل منهم شاردٌ في تخيلاته للحالة التي وصلت لها قمر، رنَّ جرس الباب، فتح إبراهيم وجده محمد، وما إن دخل وأغلق إبراهيم الباب خلفه حتى سألهم:

- سمعتوا عن اللي حصل مع الولا البياع ده؟!!

أجابه إبراهيم بملل:

- سمعنا، واختك منهاره جوة بسبب الموضوع ده.

- قمر !!!

- أه .

- إزاي يعني ؟!! وليه ؟!!

- أصلها كانت في الشارع ساعة الخناقة، وشافتها، والمصيبة ان الواد طلعت هي وشيماء يعرفوه، اللي كانوا بيشتروا منه هدوم ده، فالموضوع مأثر فيها أوي.

رجعت مفحومة من العياط وفجأة لاقيناها بتصرخ، وفين وفيين على ما هديت ونامت.

- وانت عرفت منين، وإيه اللي رجعك من شغلك بدري أساسًا؟!

- شيماء كلمتني وجيت على ملا وشي.

نظر لوالدته نظرة لوم:

- كده يا ماما، كل ده يحصل وتكلمي إبراهيم وميجيش في بالك تتصلي بيا تقولي لي؟!! إنتي اللي خليتي شيماء تتصل بإبراهيم أكيد.

- يا ابني والله جيت على بالي، بس انت شغلك بعيد، أخوك اقرب، اتصلنا بيه جه على طول، إنت كنت هتاخد وقت.

- طيب قمر عامله إيه دلوقتي؟؟

- نايمة جوة اهي، ربنا يهديها وتقوم كويسة.

سألته شيماء بفضولها الذي لا تستطيع التخلي عنه:

- متعرفش يا محمد حصل إيه بعد ما ضربوه، راح فين يعني وحصل له إيه؟؟ وأصلًا ليه ضربوه كده؟!! ده شكله انتقام مش مجرد خناقة عادية!!

أجابها باقتضاب وهو يتجه نحو غرفة قمر:

- معرفش يا شيماء، أنا مش هستجوب الناس يعني، كل اللي سمعته انه أغمى عليه بعد الضرب ولما فاق قام ومشي .

دخل الغرفة بهدوءٍ حتى لا يوقظها، يريد فقط أن يطمئن عليها، تطلَّع إلى وجهها الشاحب ودموعها التي تغرق وجنتيها، تبكي حتى وهي نائمة!!

كم هي رقيقة وحساسة، تلك الحساسية المفرطة تقتل صاحبها في أغلب الأحيان ! تجعله أكثر عُرضة للصدمات، دائم الحزن والتفكير في كل شيء.

مسح دموعها بأنامله ثم قبَّل جبينها وخرج تاركًا إياها تنعم بالراحة والهدوء، لكن أي راحة وأي سعادة التي كانت تحلم بها، يبدو أن الحزن والتعاسة قد اتخذا عهدًا على نفسيهما ألا يفارقاها أبدًا!

* * *

أفاقت من غيبوبتها بعد منتصف الليل، الغرفة مظلمة والسكون سائد، كعادتها تصحو وحيدة بعد أن ينام الجميع.. لكن الوضع تلك المرة مختلف، تفكر به، كيف حاله؟! كيف حال جروحه؟! من

داواه، أم تُرِك هكذا بدون مداواه حتى ؟!! آآآآآآآآآآه حبيبها المسكين..

كم تتألم لأجلة وكم تتوق لرؤيته الآن، تقسم بداخلها إنها إن رأته مجددًا في أي مكانٍ وأي وقتٍ، ستركض نحوه وتأخده في أحضانها!! لا يهمها سواه، ولا يشغلها غيره.

تُرى كيف حاله؟!! أعظم أحلامها الآن أن تراه فقط لتطمئن عليه. لا لا.. تسمع صوته حتى فقط.

صوته.. صوته.. صوته..

الهاتف !! أتهاتفه؟!! هل سيرد ؟!!

لعنت غباءها ألف مرة، أي هاتف أيها الحمقاء؟! إذا كان الهاتف معه وقتها لابد أنه الآن قد تحطم إلى مائة وخمسين قطعة وأصبح لا يصلح سوى للقمامة فقط.. وإن لم يكن معه ! أيعقل أن يساندها الحظ ويكون قد نسيه في منزله؟ تحطم هو وبقي هاتفه. ذلك هو الهم المُضحِك بعينه.. هناك احتمال أن يكون الهاتف سليم، ليس احتمالًا بقدرِ ما هو تمنٍّ.

من المؤكد أنه ذهب إلى منزله بعد أن هرب منها ومن النظر إلى عينيها حتى، كانت تهمس باسمه بضعفٍ وتترجاه أن ينظر إليها لكنه لم يستطع، تحامل على نفسه وفرَّ من أمامها وهي لم تستطع اللحاق به.

كلاهما مُحطم، كلاهما يشعر بألمٍ يفوق قدرة أي بشر على التحمل.

على أملٍ واهٍ قامت من الفراش وبحثت عن هاتفها في حقيبتها إلى أن وجدته.

بأصابع مرتجفة وقلبٍ دامٍ يقطر خوفًا وألمًا، ضغطت على أرقام هاتفه، وكما يقول العقل والمنطق، وجدت الهاتف مغلقًا. سالت دموعها بغزارة، قلة الحيلة بمثابة حبل متين مثبَّت بإحكامٍ فوق عنق صاحبه، لا يستطيع فكَّه ولا يستطيع السير به، سيشتد حوله ويخنقه!!

أغلقت عينيها بيأسٍ ودموعها تأبى التوقف، سارت نحو النافذة ببطءٍ وتطلعت إلى السماء.. إنه معها، تحت سقف تلك السماء، لو كانت السماء تتحدث لتطمئنها عليه فقط !!

يبدو أنها فقدت عقلها بأكمله، تتمنى أن تحدِّثها السماء !!

إن كانت لا تستطيع الوصول إليه فمن المؤكد أن دعاءها سيصل، همست بداخلها بتضرُّع الكون:

" يارب زي ما حطيت حبه في قلبي، إحميه واحفظه ليا يا رب، وجوده كان بالنسبة لي أمل وسعادة وأمان، معقول كل ده يروح؟!! أنا حلمت بنفسي وحياتي معاه، حلمت ببيت صغير فيه أنا وهو وولاد منه.. شبهي وشبهه، مكنتش عاوزة أكتر من كده، حاسة بيه أد إيه بيتعذب دلوقتي، نفسي اطمّنه، نِفسي اقول له أنا جنبك ومش هتخلى عنك أبدًا، نفسي أقول له ان صورته في عنيًّا متهزتش، أنا عارفة انه كان بيحاول يقوم ويدافع عن نفسه، بس

هما كانوا كتير عليه، وأقوى منه، هو طيب بس همَّا وحشين أوي، مؤذيين أووي، وجعووووه أووي وكسروه أووي أووووي..."

علا صوتها في كلماتها الأخيره كثيرًا بدرجة أيقظت والدتها، همسها الخافت تحوَّل إلى صراخٍ وبكاءٍ،انتفضت أمينة من الفراش ونظرت حولها بفزعٍ، وجدت قمر أمام النافذة تبكي بعنفٍ ولم تتحمل، فسقطت أرضًا

ركضت إليها وضمتها، وضعت يدها على فمها حتى لا توقظ حبيبة النائمة على الفراش الآخر في الغرفة، أوقفتها وساندتها إلى الفراش، وضعتها عليه وأخذت تشدد من احتضانها وهي تشعر بقلق على ابنتها لم تشعر به في حياتها!!

ماذا أصابها، أيُعقَل أن يكون كل ذلك الانهيار فقط لرؤيتها تلك المشاجرة؟!!

لم تكن تعلم أنها معركة دامية ليست مشاجرة عادية وأن المسحول بها كان حسن.. حبيبها!!

ظلت تمسح على شعرها وتتلو بعض الآيات القرآنية بصوتٍ خافتٍ، إلى أن هدأت قمر تمامًا وغطت في نومٍ عميقٍ، لا يخلو من كوابيس مُفجعة ترى حسن فيها كلها!

* * *

في أحد الملاهي الليلية الشهيرة بشارع الهرم، وعلى إحدى الطاولات الجانبية، يجلس أربعة رجال، لا يجمع بينهم سوى شيء واحد فقط " المصلحة".

عندما تجتمع جميع المتناقضات وتُلغى كل الفوارق لتحقيق هدفٍ واحدٍ وهو "المصالح العليا للجميع" !

- متّقلوش في الشُرب، ويا ريت متشربوش خالص أحسن.

نظر كرم إلى ماهر بضيقٍ:

- وليييه قِلة المزاج دي بس ؟!

- عاوزين نتكلم في الشغل يا روح امك، هنتكلم ازاي لما نتسطل بقى؟!!

- ما كنا اتكلمنا وبعدين جينا سهرنا طاب.

- فاضي انا بقى.

قال عادل بسخرية:

- متتقلقتش، ده لما بيشرب بيفوق أصلًا.

- ها ها ها، هو انا كده ، صح.

- طب اتكتم بقى وخلّص الأكل اللي قدامك، إنت طالب وليمة!!

قال صبري ضاحكًا:

- ما لازم يبرطع هو دافع حاجة من جيب أهله؟!

صاح كرم وهو يأكل بنهمٍ:

- إنتوا هتبصوا لي في اللقمة! مش كفاية مفيش شرب، سيبوني أكل كويس بقى، عشان اعرف اركّز معاكم.

- إطفح يا كرم على الله يتمر.

انتهى كرم من تلك الوليمة التي طلبها وحده وأكلها وحده أيضًا.

- الرقاصة دي جااامدة أووي.

همَّ بالتوجه نحو الراقصة، فأمسكه ماهر من ذراعه:

- إنت رايح فين؟!!

- هبوس !!

أجلسه بالقوة:

- إهمد يا كرم.

- ده إيه اليوم الزفت ده؟!! أومال جينا هنا ليه بقى؟! ما كنا روحنا قعدنا في ماكدونز أحسن.

سأله عادل باستنكار:

- قعدنا فيييين؟!!

- ماكدووووونز، إللي بيتجاب منه ساندوشات همبرجر ده.

- طب اخرس يا كرم واترزي مكانك.

- طب كاسين طيب، أي حاجة، إيه القعدة الناشفة دي؟!!

قال ماهر بنفاذ صبر:

- ماشي كاسين بس لو اتسطلت هنفخك.

- ما قولنا انا لما بشرب بفوق بقى .

- أما نشوف.

أنهوا سهرتهم المعتادة، وإن كانت تتميز بالاحترام الشديد تلك المرة؛ لأن لديهم الكثير ليتحدثوا بشأنه، استقلوا سيارة عادل وذهبوا إلى معرض السيارات.

وصلوا إلى المعرض، دخلوا وأحكموا إغلاق الباب خلفهم جيدًا. جلسوا متقابلين على الأريكة الجلدية والكرسيين، نظر ماهر إليهم وقال بضيقٍ:

- مش نافع نفضل على النظام ده.

سأله عادل باستنكار:

- نظام إيه؟!

- إنتوا كده بتمشّوا شغلكوا وتلبسوني، أنا مش شغال في مصلحة الضرايب، لما يبقى بقالي أكتر من ست شهور بنشّ ومش لاقي شغل اعمله، لا بقبض على حد ولا بمسك شحنات ولا الهوا !! إيه يعني البلد كلها بقت فلة ومفهاش تجّار مخدرات؟!! زي ما بسهّلكوا شغلكوا تسهلولي شغلي، عاوز اعملي أي منظر.

نقل نظره إلى كرم:

- ولا يا كرم..

- اؤمرني يا باشا.

- إنت مش كنت كل فترة كده بتوقّع لي عيل من العيال الجداد اللي بيجوا يشتروا، أُتقبُض عليهم متلبسين واعمل أحلى شغل.

- أيوة .

- أنا عاوز من دول بقى تاني، خلي الدنيا تمشي.

- رقبتي.

- ولما هو رقبتي، مبتعملش كده ليه من الأول؟!! ولا هو لازم انبّه عليك كل مرة؟!!

قال صبري محاوِلًا تهدئة الموقف:

- خلاص من الشُّحنة اللي جاية هيكون مظبط لحد كذا حد، عندي انا دي متقلقش.

سأله ماهر بانتباه:

- هو معاد الشُّحنة اللي جاية إمتي؟؟

- آخر الأسبوع اللي جاي

- والمكان؟؟

- لسه متحددش.

- كل ده؟! إبقوا بلغوني قبلها بوقت كفاية.

- هيحصل إطمن.

قال عادل بتأكيد:

- الشُّحنة اللي جاية دي كمية كبيرة أوي، أكبر من كل مرة، محتاجه تتوزع صح.

نظر إلى كرم وشدد على كلماته:

- سامعني يا كرم؟؟

هزَّ رأسه إيجابًا بسرعة وطاعة قائلًا:

- إطمن يا كبير.

- والله انا مش بيقلقني غير كلمة اطمّن دي، إنت دراعنا اليمين أه، بس دراعنا اليمين ده لو فضل مسطول ومبيشوفش شغله كويس كده، هنقطعه!

قاطعهم ماهر قائلًا:

- أنا أهم حاجة عندي الناس اللي كرم هيجيبهم، عشان لو فضلنا بالمنظر ده يبقى نقفل القسم ونجيب درفها احسن !!

قال كرم مطمئنًا:

- يومين بس وهكون جايب الناس.

- أما نشوف.

صاح كرم فجأة:

- ااااه صحيح، تسلم إيديكوا يا معلمين على اللي عملتوه في الولا حسن ده انتوا شافيتوا غليلي.

نظر صبري إليه وقال بزهوٍ:

- إيه رأيك؟؟

قال عادل ضاحكًا:

- خليناهولك مش نافع، مش هيعرف يرفع عينه في حد من المنطقة تاني وأولهم قمر دي.

ردَّ عليه صبري بنفس الزهو، كأنهم قاموا بعمل بطولي أو أنجزوا إنجازًا عظيمًا سيتم تدوينه في التاريخ !

- ده لو قدر يهوب ناحية المنطقة تاني أصلًا.

ابتسم كرم ابتسامة بلهاء متشفية، ثم قال بسعادة:

- خليها تفرج بحبيب القلب.

ثم قال بعتاب:

- بس انتوا اتأخرتوا في التنفيذ.

زفر صبري بضيقٍ:

- ما احنا مش فاضيين لمشاكلك يا كرم، المهم النتيجه في الآخر.

قاطعهم ماهر قائلًا:

- واحدة واحدة بقى وفهموني موضوع حسن ده، لأني مش فاهمة خالص، اااااه ده جالي القسم على فكرة.

نظر عادل إليه بدهشة:

- بجد؟!!

- أيوة.

- إمتى؟؟

- بعد الخناقة على طول، كان جاي لي سايح في دمه.

- جاي يعمل إيه إن شاء الله؟!!

قال ماهر ساخرًا.

- جاي يشتكيكوا .

صاح صبري بغضبٍ:

- يااا ابن الكاااالب !! يشتكينا إحنا!! الواد ده مجنون ولا إيه؟!! هو مش عارف احنا مين؟!!!

- تقريبًا الضرب أثَّر على دماغه، ما علينا، فهّموني بس الحوار ده.

قال صبري:

- ما انا حكيت لك الحوار في التليفون يا باشا عشان يبقى عندك خبر.

- ما انا مفهمتش حاجة من اللي حكيته!! كل اللي قولته إنك انت وعادل في أي وقت هتمسكوا واد مش من المنطقة وترنّوه علقه مخدهاش حمار في مطلع، عشان كرم .

مين بقى حسن ده؟! ومين قمر دي؟!! وماله ومال كرم أصلًا ؟!!

قال كرم بغلٍّ:

- هقول لك يا باشا.

- قول .

- قمر دي بت من المنطقة كانت عيني عليها وطلبتها من اخوها وقال إيه، رفضتني !!

قال عادل ضاحكًا:

- وانت مالك مستعجب كده ؟!! دي ربنا نجّاها.

هتف كرم باستنكار:

- إزاي ترفضني يعني؟!! دي جربوعة هي وأهْلها مش لاقيين ياكلوا؟! هي كانت تطول ابص لها أصلًا !!

قال عادل وهو يعض على شفاه السفلى:

- البت الصراحة فرسة يا كرم، ليها حق متبصلكش.

- إنت شوفتها فين ؟!

- ساعة الخناقة يا بني أدم، مش كانت موجودة.

- أه، ده انا فرحت جداا إنها جات وشافته وهو مذلول وبيتضرب قدامها كده، بس مقولتليش بردو عرفت منين ان دي قمر؟؟

- واضح أوي من لهفتها عليه، دي مبطلتش صريخ وعياط، وهي الوحيدة اللي نطقت وقالت لنا كفاية حرام عليكم ههههههه. وقبل ما نمشي بصيت عليها، كانت منهارة، ده انا قلت هتقطع

النفس.

- بنت الـ **** مش عارف بتحب فيه إيه ده !!

قال ماهر بغضب:

- ممكن تبطلوا تتكلموا بالألغاز وتفهموا أمي الموضوع ده بقى !!!

استكمل كرم حديثه قائلًا:

- مرة شفتها واقفة بتتكلم مع الزفت حسن ده على أول الشارع في حتة متدارية كده، لا وواقفة تسمعه بمزاجها، وانا اللي كنت بتنطط لها في كل حتة مكنتش بتبص في خلقتي حتى.

- وبعدين؟؟

- ولا قابلين، وقفوا يتكلموا شوية ومعرفتش اسمع من كلامهم حاجة، بس فهمت اللي فيها بقي، بدل ما انا كنت ملطوخ على قفايا كده، الباشا كل شوية ينط لنا في المنطقة بحجة الشنطة المعفنة اللي معاه دي، عاملّي فيها تاجر بروح أمه، والهانم التانية ترفضني انا عشانه.

- وانت خمنت كل ده عشان وقف كلمها كلمتين؟!!

- عيب يا باشا انا مش غشيم، بينهم حاجة أنا متأكد واهو عادل قالك اهو كانت هتموت ازاي وهما بيضربوه.

استكمل عادل حديث كرم قائلًا:

كلمني في الموضوع ده من فترة وانه عاوز يكسر الواد وميخليهوش يهوب ناحية المنطقه تاني، بس انشلغت وبتاع، وبالصدفة النهارده

الصبح كنت انا وصبري قاعدين على القهوة مع إننا مبنقعدش عليها غير كل جمعة أصلًا، بس هو حظه بقى، وكلمنا كرم عشان يجي يتفرج على العجل وهو بيدبح هههههههههه.

- يا ولاد اللعيبة !! ده الواد جايلي خلصان.

قال صبري:

- عيب يا باشا، إحنا مش بنلعب، ده اتطحن، أصلًا عصّبني جدًا، عامل فيها شجيع السيما وهجم عليا يضربني، خليته عبرة وقلعته هدومه في نص الشارع.

سأله ماهر بدهشة:

- إيه؟!! قلعته هدومه؟!! ده انا فاتني حتة فيلم ابن لذينة!، بس للأسف مكنش ينفع ابقى موجود وواقف بتفرج كده عادي من غير ما اعمل حاجة، بص صحيح يلا يا كرم، إنت مخدتش حقك منه بدراعك ليه؟؟ ما انا فاتحهالكم على البحري اهو وبلطجة بتبلطجوا مخدرات وبتتاجروا، مش حارمكم من حاجة يعني.

قال صبري مصححًا :

- إسمها بنتاجر يا باشا.

- لا يااااا حبيبي، أنا مش بتاجر، بسهلكوا دخول البضاعة أه، بسيبكوا توزعوها زي ما انتوا عاوزين أه، لكن أكتر من كده مليش فيه.

قال عادل باستفزاز:

- يعني بتعمل كده حِبي، ما انت بتاخد من ورانا كتير أوي بردو.

ردَّ عليه ماهر ببرودٍ:

- ده بيزنس، خد وهات يعني، بننفّع بعض .

قام ماهر وأمسك بهاتفه من على الطاولة أمامه:

- هخلع انا بقى.

قال عادل:

- معاكش عربية؟

- عادي هاخد تاكسي.

تابع وهو يفتح باب المعرض:

- متنسوش لما تعرفوا المكان تبلغوني على طول، وانت يا كرم بطّل الهباب اللي بتشربه ده وفوق لنفسك كده شوية وانجز الموضوع اللي قولت لك عليه، عاوز أكتر من حد كمان لأوقات مختلفة.

ردَّ كرم في طاعة شديدة:

- أمرك يا باشا .

- تمام، يلا سلام .

خرج ماهر إلى الشارع، هاتف ريهام.

- ألو.. أيوة يا ريهام.. لا مش جاي.. ورايا شغل.. يوووووووه نفس اسطوانة كل مرة، إنتي مش بتزهقي، ما قولنا في شغل هو انا بلعب يعني؟!.. معرفش هاجي إمتى.. متستنينيش، سلام.

زفر بضيق وعاود الاتصال برقمٍ آخر، دقائق وأتاه الرد:

- أيوة يا سوزي.. كويس كويس بقولك إيه، عاوزك تحصّليني على شقة المعادي.. لا انا لسه هروح اهو.. عاوزك تظبطيني على الآخررر.. ماشي يا مزة، مستنيكي.. سلام.

ابتسم ابتسامة عريضة واوقف أول تاكسي قابله:

- تاكس، المعادي !

* * *

الأيام تمضي بطيئة، مملة، حزينة..

رحل مثل ما أتى، ظهر فجأة واختفى فجأة .. لكن هي أبدًا لن تعود إلى نفسها السابقة قبل أن تعرفه !

روحها معها وقلبها معه، كانت بائسة قبل أن تعرفه لكنها بعد أن فقدته أدركت أنها لم تعرف معنى البؤس يومًا !

عادت لصمتها ووحدتها، السبب الوحيد الذي كان يجعلها تبتسم وتشعر بدقات قلبها تنبض فرحًا، ببساطة اختفى!

يئست من محاولات الاتصال به دون جدوى، الهاتف مغلقٌ، أصبحت تتحاشى أي شيء يذكِّرها به رغم أنه لا يغيب عن بالها لحظة.

فتحت شيماء باب الغرفة فجأة دون أن تطرقه، نظرت إليها قمر بغضب:

- في إيييه يا شيماء؟!! حد يدخل كده، فزعتيني.

وقفت أمامها وقالت بغضبٍ:

- بقولك ايه بقى يا بت انتي، أنا مستحملة دلعك بقالي فترة وبقول معلش، متضايقة، معلش مخنوقة شوية، بس كده كتيير بقى. أنا شغل البيت كله عليا، وسطي اتقطم، طبيخ وتنضيف حتى شرا من السوق بقيت بنزل لوحدي!! الرحمة مش كده بقى.

زفرت قمر بضيقٍ:

- عاوزة إيه يعني يا شيماء؟؟

- تفوقي لنفسك بقى وتساعديني شوية، خدي .

اقتربت منها وأعطتها ورقة مطوية.. ورقة مطوية ذكّرتها بأوراقه.. لمسة يده أول مره وهو يدس الورقة في يدها.. حروف كلماته.. صوته وهي تسمعه لأول مرة.. اللقاء.. اعترافه.. وعده لها ووعدها له.. الدموع نزلت من عينيها في صمتٍ دون حتى أن تشعر بها، نظرت إليها شيماء وصاحت بغضبٍ وصوت عالٍ:

- لااااا كده كتير بقي، هو كل ما حد يكلمك تقومي منزلالك دمعتين عشان تصعبي علينا؟!

أتت أمينة على صوت صياح شيماء:

- في إيه يا شيماء ؟!! مالك بتزعقي ليه ؟!

ونظرت إلى القمر الباكية:

- وانتي بتعيطي ليه انتي كمان؟!

قالت شيماء بغضبٍ:

- ما هي بقيت تعيط كده عمال على بطّال كل ما حد يكلمها، بس انا زهقت بقى.

ألقت بالورقة على الفراش، وقالت وهي تنصرف تاركة الغرفة:

- الورقة عندك إيه فيها طلبات إنزلي هاتيها، أنا مبنزلش بقالي فترة والبيت محتاج حاجات كتير.

بعد أن انصرفت شيماء، أمسكت قمر بيد والدتها وقالت برجاءٍ:

- الله يخليكي يا ماما أنا مش عاوزة انزل، لو على شغل البيت أنا هقوم بيه كله بس بلاش انزل.

نظرت والدتها إليها بدهشة:

- إنتي اايه حكايتك؟!! ما كنتي بتحبي تنزلي وتقولي بغيّر جو، دلوقتي النزول بقى كخة؟!

همست قمر بضعفٍ:

- أبووس إيدك يا ماما ريحيني، أنا هعمل كل حاجة في البيت بس بلاش انزل، تعبانة ومش قادرة انزل.

أمسكت أمينة بالورقة التي ألقتها شيماء على الفراش، وقالت وهي تنصرف:

- طيب انا هقول لشيماء واشوف هترضى تنزل ولا لا.

وما إن خرجت والدتها حتى ازدادت دموعها انهمارًا.. مجرد ورقة خرقاء أصبحت قادرة على تحطيم أعصابها لأنها تذكِّرها به!! ستموت قهرًا ما إن تنزل إلى الشارع ولا تشعر به خلفها!

أين أنت يا من أشعرتني بمعنى السعادة ثم أخذتها منِّي وأخذت قلبي معها ورحلت؟!

* * *

عاد عرفان ووهدان من سفرهما، وتم تحديد مكان تسليم الشحنة الجديدة تحت إشرافهما، وقام عادل بإخبار ماهر بالمكان لتأمينه بعد أن أوقع له كرم باثنين من ضحاياه المغفلين من الزبائن الجُدُد، ككبش فداء لتكتمل تلك المسرحية الهزلية ليظهر ماهر بمظهر البطل الذي قبض على الأشرار وانتصر للحق !

كل الأمور سارت على خير ما يرام، وخرج رباعي الشر للاحتفال بنجاحهم في عملهم البطولي العظيم !

* * *

مرَّ شهران، نسوا أو تناسوا واقعة حسن نهائيًا بل نسوا حسن شخصيًا، كأنه حشرة تم دهسها ليمضوا فوقها كأن شيئًا لم يكن ! حتى أهل المنطقى نسوا تلك الواقعى وكأنهم اعتادوا الأمر، يوم عن يوم يزداد إحساسهم بالظلم والذل، دبَّ الرعب في قلوبهم بعد ما رآوا بقُرّة آعينهم الذي حدث في حسن لمجرد تجرُّؤه على الجلوس في مكان واحد يجمعه بهم ! حتى وإن لم يكن يوم الاثنين من ضمن أيام الحظر التي أقرّوها..

يزدادوا الناس خوفًا ويزدادوا جبروتًا وطغيانًا..

يزداد الظالم ظلمًا ما لم يجد من يردعه، بل على العكس يجد من يؤيده بضعفه واستسلامه

" قالوا يا فرعون مين فرعنك، قال ملقتش حد يلمني" !

هكذا تسير الأمور وهكذا تمضي الحياة، في انتظار صلاح الدين الجديد الذي يأتي ليحرر البشر من ظلمهم وقبل ذلك يحررهم من ضعفهم واستسلامهم.

فأقصى ما يستطيعون فعله هو انتقاء كلمات أغنيات تعبر عن حالهم وتمسّ مشاعر هؤلاء المهدورة حقوقهم ومُنتهكة آدميتهم .

ودي دُنية إيه.. لو فيها العدل مغمّي عنيه

والحق إتعكز على رجليه.. وفيها اللي في حاله يجيب من الإيه ويتك عليه

ودي دُنية إيه.. طول ما بتيجي دايمًا على الغلبان

واللي اتهان فيها لسه بيتهان.. ميصحش نسأل هو فلان اتغير ليه

طول ما العدمان غلوش على النور وفي ناس بتعيش وتموت بالدور

جايز فينا يطلع ديب مسعور على الناس حواليه !!

لولا الخايفين الخوف أصلًا كان ييجي منين؟!

لولا الجبنا، فرعون كان يطلع لنا من فين؟!

طول ما هي سايبة ومفتوحة على البحري شمال ويمين

طبعًا يتفرعن سين من الناس أو صاد أو عين

في مننا وحوالينا ناس قلوبها عامية، وعمى القلوب أشد من عمى النظر

بقى نصنا بينه وما بين العتمة كيميا، ونصنا بيحلم بمهدي منتظر

* * *

الثالثة صباحًا، يعم السكون إلى حدٍّ كبير..

كان عادل مستيقظًا يتحدث في الهاتف مع إحدي فتياته الكثيرات، وفجأة نظر من النافذة الكبيرة بهلعٍ، ألقى بالهاتف أرضًا وركض إلى غرفة والده، فتح الباب بعنف وأيقظه:

- باباااااا باباااااااا..

انتفض وهدان وفاطمة من الفراش فزعًا:

سأله وهدان بغضب:

- إيييييييييه يا حيوان انت ؟!! عامل زي التور الهايج كده لييه، في إيه؟!!

- إاااالحق، المحل بيووووولع تحت !!

شهقت فاطمة بفزعٍ وقام وهدان من الفراش بسرعة.

ارتدى جلبابه على عَجل.

- إنت عرفت منين؟؟ ؟

- شميت ريحة شياط بصيت من الشباك لاقيت المحل والع.

ركض وهدان إلى أسفل وخلفه عادل، التقوا بعرفان على مدخل البناية، الذي استشعر بالحريق هو الآخر وركض ليرى ما الذي يحدث.

ما إن لمست أرجلهم أرض الشارع ونظروا أمامهم حتى تسمروا في أمكانهم كأن على رؤوسهم الطير!!

ما يرونه أمامهم حقيقة وليست هلوسات، هم في كامل وعيهم وها هو حسن يقف أمامهم بجلباب واسعة تُشبِه تلك التي ستر بها الناس جسده ذلك اليوم المشؤوم وفي يده رشاش إلى يوجهه نحوهم !!!!!

نظروا إليه ببلاهة وعدم تصديق، لم يمنحهم حسن الوقت الكافي للاستيعاب، لأنه إن بقى أمامهم حتى يحل الصباح لن يستوعبوا فكرة أنه عاد وتلك الكارثة في يده !!

قال بتهكم:

- إيه؟؟ مستغربين مش كده؟؟ مكنتوش تتخيلوا اني ممكن ارجع تاني واقف قصادكوا؟؟ قولتوا ده حشرة ودُسنا عليها، زمانه يا مات من الضرب على أي رصيف في الشارع يا غار في أي داهية؟؟ ؟ مش كدددددددده؟؟ ؟؟!

الحريق يزداد وبدأ سكان المنطقة في التجمهر، وكالعادة يلعبون دور المشاهد،أيقظت فاطمة، صبري، ما إن خرج عادل ووهدان.

- صبرررري صبرررررررررري، قوووووووم إلحق أبوك واخوك، المحل بيولع تحت ونزلوا يطفّوه !!

فكهم السفلي كاد أن يتدلى على الأرض من شدة الذهول، والصدمة ألجمت ألسنتهم عجزوا عن النطق ولم يكن حسن ليسمح لهم بالكلام من الأساس، أتى دوره الآن، هو من سيتكلم ويحكم وينفذ حكمه !!

- أنا عاوز اقول لكم حاجة واحدة بس، مش معنى اني فقير ابقى ضعيف ويحق لكم تدوسوا علياااااااا، أنا مش ضعيييف أنا مش ضعييييف.

كان يتحدث بحِدة وانفعالٍ شديدٍ، في نفس الوقت الذي نزل فيه صبري من البناية. التفت إليه حسن وعيناه تلمعان ببريقٍ غريبٍ.. لم يعرف معنى للكره يومًا مثل الذي يشعر به الآن.. رغم إنه كان شِبه فاقد للوعي، إلا أنه أبدًا لن ينسى وجهه، ذلك الذي جرَّده من ملابسه وكشف عورته أمام مرأى من الجميع وأولهم حبيبته!!

قمر !!!

حينها لم يستطع السيطرة على نفسه إطلاقاااًا، في لحظة خاطفة ضغط على زناد الرشاش وانتهى كل شيء!!!!

سقط الأربعة غارقين في دمائهم وسط صرخات من الجمهور !! الذي قرر أخيرًا التخلي عن صمته بعد أن شعر بفداحه الأمر. أصوات صرخات نساء آل دهشان تعالت من البناية، كل شيء حدث بسرعة هائلة لم تتح لأي شخصٍ فرصة للتفكير ولو لجزءٍ

من الثانية.
سقط عرفان ووهدان " الروس الكبيرة " كما يُقال، لأنهما "معرفوش يربوا ولادهم" وسقط عادل وصبري بذنب ما فعلاه بحسن، الذي نظر إلى الأربع جثث بذهولٍ، لا يستطيع التصديق !!، قتل أربعة أفراد دفعة واحدة!!!!

نزلت النساء من البناية وانهرنَ بجانب جثث أزواجهن وأبنائهن. أفاق حسن من صدمته، وشعر أنه الوقت المناسب للفرار، لكن كيف سيهرب؟!! نظر حوله للجمع الغفير من البشر، أخذ نفسًا عميقًا وقرر المواجهة، لن يمنعه أحد، لن يقف أحد في طريقه بعد اليوم، سيهرب، سيركض، سـ.....

وجد أن الناس تفتح له الطريق وتساعده على الهرب !!!!

خلصهم من الطغاة ! انتصر لهم، أخذ بثأرهم وثأره، سقط فرعون في لحظة، ووجد الظالم من يردعه،

ركضَ حسن وكانت هناك سيارة في انتظاره، استقلها واختفى عن الأنظار.

* * *

في طريق العودة، أغمض عينيه ووضع ذراعه فوقهما مستريحًا على الكرسي الذي بجوار السائق، يتذكر كل ما مرَّ به خلال الشهرين الماضيين، منذ أن خرج من القسم خائب الرجاء بنَفسٍ مكسورة ، سار بلا هدف في الشارع، رغم وسعه إلا أن ازدحامه زاد من ضيقه واختناقه، ظلَّ يسير إلى أن غابت الشمس وأظلمت الدنيا، ليجد

نفسه فجأة أمام منزل الحاج راضي الذي طالما اعتبره في منزلة والده.

قادته قدماه إليه، لا ملجأ آخر له، يعلم أن الحاج راضي يعيش وحيدًا؛ زوجته توفت منذ خمس سنوات، وابنه متزوج ويعيش في بيتٍ مستقل وعلى حد علمه ابنته سافرت مع زوجها إلى إحدى الدول الأجنبية.

ضغط على الجرس وبعد عده ثوانٍ انفتح الباب، لينظر إليه الحاج راضي ببدهشة وفزعٍ:

- حسن !!! إنت إيه اللي عمل فيك كده؟!!! ادخل، ادخل.

أسنده وأدخله إلى الصالون، جلس إلى جواره وسأله باستياءٍ شديدٍ:

- إيه اللي عمل فيك كده يا ابني ؟!!!

أطرق حسن برأسه ولم يعرف بماذا يُجيبه، ماذا يقول؟! ضربوه ونعتوه بأبشع الألفاظ دون سبب يُذكَر ثم سحلوه في الشارع وجردوه من ملابسه!!!

مجرد تذكُّره لما حدث يُشعِره بخزيٍ وعار من نفسه، أبتلك البساطة يفضح نفسه أمام الآخرين؟!

طال صمته، فنظر إليه الحاج راضي بإشفاق:

- طب يا ابني لو مش قادر تتكلم، قوف نروح أي مستشفي، إنت شكلك تعبان أووي.

أجابه حسن بإرهاق:

- لا انا كويس.

- كويس إيه بس، ده انت مشلفط على الآخر، ده وشك كله دم !!

فهّمني بس إيه اللي حصل، إنت اتخانقت مع حد؟!

ابتسم بسخرية ولسان حاله يقول: " قصدك إتضربت من حد"
ردَّ عليه حسن بهدوءٍ:

- صدقني أنا كويس، أنا بس...

صمت ودموعه تحجرت في عينيه، ينفصه إهدار كرامة أكثر من ذلك ليكملها بالبكاء!!

ما حدث فوق طاقته وفوق قدرته على التحمل، أخذ نفسًا عميقًا ومسح وجهه، يجاهد ألا يظهر شيئًا مما يشعر به.

بعد حوالي الساعة، كان حسن مستلقيًا على فراشٍ نظيفٍ في غرفة متوسطة الحجم، كانت تخص راوية ابنة الجاح راضي قبل أن تتزوج وتسافر مع زوجها، أصر عليه الحاج راضي أن يبيت معه؛ فحالته لا تسمح بأن يبذل أي مجهود مطلقًا، رفض رفضًا تامًا أن يذهب إلى المشفى أو حتى أي صيدلية مجاورة، اكتفى بأخذ حمَّامٍ دافئٍ واستلقى على الفراش علَّه يهدأ ويرتاح قليلًا.

مكث عند الحاج راضي ثلاثة أيام، لم يخبره فيهم بشيءٍ، سوى أنه تشاجر مع مجموعة من البلطجية أرادوا سرقته. لم يكف عقله

عن التفكير طوال الثلاثة أيام، إلى أن وصل لقراره، عزم أمره وقرر الرحيل.. ودَّع الحاج راضي بكلمات قليلة لم يفهم منها شيئًا !

"أنا ماشي يا راجل يا طيب، وآسف مش هقدر اكمل شغل في المحل، لو ليا نصيب هرجع لك تاني، بس ادعي لي، وشكرًا على كل حاجة ".

رحل بعدها بهدوءٍ، ليعود إلى منزله في الخفاء، يأخذ حقيبة صغيرة بها بعض من ملابسه وأموال كانت حصيلة عمله طيلة الفترة الماضية؛ "تحويشة" عمره ، كان سيشتري بها شبكة قمر، لكنه الآن عليه استرداد كرامته أمامها أولًا.. عقبة أخرى وُضِعَت في طريقه، يبدو أن الوصول إليها أصعب مما كان يتخيل.

استقل القطار؛ قاصدًا سوهاج، بلدته، بلد والده ووالدته، تركها وعمره لا يتجاوز الثلاثة أعوام ليعود إليها الآن وقد بلغ الثانية والعشرين.

زارها مرات قليلة في حياة والده، زيارات قصيرة لا تتعدى اليومين. زار قبر والده وقبر والدته. مكث عند كل منهما أكثر من ساعة، قرأ لهما الفاتحة وتحدث معهما كثيرًا ،شكا لهما حاله وأخبرهما كم يفتقدهما، بكى عند قبر والدته وأخبرها كم كان يتمنى أن يراها، يعلم كم كانت تحبه وتتوق لرؤيته مثل حاله الآن تامًا.. يتمنى لو تكون هنا معه، ليرتمي بين أحضانها يشعر بحبها وحنانها

تجبر بخاطره وتطيب جراحه.

حكى لها عن قمر، كم يحبها وكم هي بعيدة عليه..

حكى لها عن أسرار قلبه وكل ما تحمله نفسه من أوجاعٍ

ألقى على قبرها نظرة أخيرة ورحل.

طرق باب منزل محمود رأفت، ابن عم والده، طالما أحبَّ حسن وعامله مثل ابنه. قص عليه حسن ما حدث معه تفصيلًا، لجأ إليه وطلب مساعدته.

" أنا مش عاوز أكتر من إني ارجّع حقي، أنا اتهنت واتذليت وكل ده من غير سبب، إستقووا عليَّا واستضعفوني لمجرد انهم أغنيا وواصلين وانا فقير، عشان ممعيش فلوس يبقى اتداس كده؟!! أنا كنت راضي بحالي وعمري ما اشتكيت، بشتغل واواصل الليل بالنهار واحط القرش على القرش عشان اتقدم لواحدة بحبها وأمنية حياتي إني اتجوزها واعيشها مرتاحه، اقوم اتذل واتهان قدامها كده ؟!! هرفع عيني فيها ازاي بعد كده، منظري قدام نفسي وحش اوووووي، أنا مكنش حيلتي إلا كرامتي، حتى دي كمان استكتروها عليا وأخدوها مني"

كان محمود يستمع إليه بتأثر شديد، تنهد بعمق ثم نظر إليه وقال بهدوء

- أنا فاهم ومجدر جدًا كل اللي انت بتجوله ده يا حسن، بس اللي انت طالبه ده صعب جوي، أنا مش هجدر احميك.

قال حسن بسرعة:

- أنا مش طالب حماية، كل اللي انا عاوزه السلاح بس وحد من الرجالة يبقى شغال معايا مجرد يبقى عين ليا في المنطقة وينقل لي الأخبار.

- أيوة يا حسن، بس.. الحكومة مش هتسيبك يا ولدي !

ابتسم بسخرية مريرة:

- هيعملوا إيه يعني ؟!، أنا أهم حاجة عندي ارد كرامتي، مش هعرف اعيش كده، أنا يعتبر ميت.

ترك له مُهلة للتفكير، أقام في منزله في انتظار قراره، وأتاه الرد بعد يومين.

- أنا موافج يا حسن، هدبر لك السلاح، واعتبر خيري راجلك من دلوجتي، بس بعد ما تنفذ لازم تختفي عن الأنظار خالص، أنا دبرت لك مكان تستخبى فيه، محدش هيعرف لك طريج واصل.

انتظر إلى أن التأمت جروحه بشكلٍ كبيرٍ، وتدرَّب على استخدام الرشاش الآلي جيدًا.

راقب له خيري الأوضاع، وكان بمثابة عينه التي يرى بها هناك، إلى أن حانت اللحظة المناسبة، تحضَّر نفسيًا كثيرًا لتلك اللحظة، ثم انطلق.

عاد إلى القاهرة في سياره قادها خيري، الذي انتظره إلى أن أنهى مهمته ليقله إلى المكان الذي سيختبئ به.

أفاق من ذكرياته على صوت خيري وهو يخبره بأنهما قد وصلا إلى المكان.

* * *

حادثة غريبة، وفريدة من نوعها؛ يأتي شابٌّ فجرًا، ليُشعل النيران في محل جزارة لاستقطاب أصحابه للنزول إليه، وما إن يراهم أمامه حتى يفقد السيطرة على أعصابه تمامًا ويقتلهم جميعًا

برشاشٍ إلى دون أن يرمش له جفن، والأغرب أن يساعده الناس على الهرب !!!

أي عقلٍ بشريّ له أن يستوعب تلك الجريمة غريبة الأطوار، مُدبَّرة مع سبق الإصرار والترصد، وصاحبها أبعد ما يكون عن القتل !!

بضغطة واحدة تحول إلى قاتل..

بضغطة واحدة تحول من مجنيٍّ عليه إلى جانٍ.. الشخص الهادئ، الحنون، المُسالِم، الحالم والعاشق حتى النخاع، أصبح قاتلًا !

كثرت الأقاويل وتعددت الحكايات، وتظل الحقيقة غائبة حتى تصنيف من الجاني ومن المجني عليه، اختلف الكثيرون حوله؛ منهم من رأى بقُرَّة عينيه الواقعتين، ومنهم من رأى واقعة واحدة، منهم من تعامل مع حسن ومنهم من لا يعرفه من الأساس.. لكن الأكيد، أن كلهم بلا استثناء ذاقوا من ظلم الطغاة.

منذ ذلك اليوم والمنطقة لم تهدأ من الشرطة التي فشلت كل محاولاتها في معرفة القاتل.

رد كل نساء آل " دهشان " كان واحد"اللي عمل كده كان مُلثم ومنعرفش هو مين "

وبعد الكثير من التحريات وأقوال الشهود الذين أنكروا معرفتهم بهويه القاتل أيضًا، إما خوفًا من حسن على حد اعتقادهم أنه قد يعود وينتقم مِمن أبلغوا عنه، أو شفقة عليه وتعاطُفًا معه، أو مكافأة له على أنه خلّصهم من رجال " آل دهشان " إلى الأبد ! حُفِظَت القضية وتم تأييدها ضد مجهول.

* * *

لك أن تتخيل حال عائلة فقدت أربعة من رجالها دفعة واحدة ولم يتبقَ منهم سوى واحدٍ، أنقذته العناية الإلهية من نكبة القتل الجماعي تلك بسبب سفره !

ما إن سمع الخبر حتى نزل إلى مصر على متن أول طائرة، تمنى لو كانت مَزحة ثقيلة من والدته عندما أخبرته لتجبره على المجيء، لكن انهيارها يؤكد عكس ما يتمناه؛ فقد والده وعمه وابنيْ عمه اللذين كانا بمثابة الأخوين له.. فقدَ سنده وعزوته، والأفظع من ذلك أنهم ماتوا مقتولين !! كان الأمر أصبح هيِّنًا بعض الشيء لو أخبروه أنه كان حادثًا، لكن قتل !!! شخص واحد قضى على رجال عائلته بأكملها.

شخص واحد قضى على إمبراطورية "الدهشان " ولم يتبقَ سوى هو !

كابوس استغرق استيعابه يومًا كاملًا، وما إن أفاق من صدمته واستطاع أن يعي ما يحدث حوله، حتى أطاح بكل شيء وصلت إليه يداه وصرخ بغضبٍ وحُرقة:

" محدش يفتح بؤووووه بكلمه قدام الحكومة، حق ابويا وعمي وولاد عمي، أنااا اللي هجيبه بإيدي ومش هاخد عزا فيهم لحد ما ارجّع لهم حقهم !! "

يبدو أن لعبة استرداد الحقوق تلك لن تنتهي، حسن أيضًا أراد استرداد حقه وسعد يريد استرداد حق من أخذ منهم حسن حقه!

كيف لهم أن ينسوا ذلك الوجه " وجه حسن " الذي أفقدهم رجالهم.. حُفر في ذاكرتهم ولن ينسوه أبد الدهر.

أخبروا سعد بكل معلومة يعرفونها عن حسن، سمعت فاطمة، عادل وصبري ذات مرة وهما يذكران اسم حسن لكنها لم تهتم.

الآن فقط استجمعت كل حواسها واعتصرت ذاكرتها وتذكرت: عادا إلى المنزل يومًا وهناك جرح صغير على زاوية فم صبري، وعندما سألته فاطمة بقلقٍ عن سبب ذلك الجرح، أخبرها ببرودٍ أنه شجار بسيط في المقهى وانتهى الأمر، لكن ما عرفته بعد ذلك أن الشجار لم يكن بسيطًا، لكنها أيضًا لم تهتم، لماذا تهتم وهي ترى أن كل ما أصاب ابنها

وجرح صغير لا يُرى بالعين المجردة؟!

استجمع سعد كل الخيوط وجعل شغله الشاغل هو البحث عن ذلك " السفاح " للنَيل منه.

* * *

يجلس في مخبئه وحيدًا، خيري يأتي نهارًا، يجلب له الطعام والمياه ويُطلعه على آخر الأخبار في المنطقة وينصرف. علم أن القضية تم تأييدها ضد مجهول..

" ملثم " هاه ! ما ذلك الهراء ؟!

لماذا أنكروا؟! لماذا كذبوا؟! على ماذا ينوون ؟!

و الأدهى والمثير للدهشة أكثر، أقوال الشهود، سكان المنطقة.. لماذا تستَّروا عليه؟!

مئات الأسئلة التي تدور بعقله وما من إجابة، لكن المؤكد أن الموضوع لن يمر مرور الكرام.. قمر ! آااه يا قمر، كم اشتاق لها، لسماع صوتها، لرؤية وجهها.. هل علمت بما فعله؟! هل صدَّقَت؟! ما شعورها الآن، هل كرهته، هل رضت عن فعلته؟؟ هل ردَّ كرامته أمامها؟!

صمت وسأل نفسه سؤالًا واحدًا: أهو نفسه راضٍ عن فعلته؟؟ كانت الإجابة ببساطة: لا !

شعر بنشوة الانتصار لحظة، وندم بعدها ألف لحظة؛ ندمه على نفسه، لا على شيء..

لو عاد به الزمن ألف مرة، لأعاد ما فعله في كل مرة، يستحقون ذلك وعن جدارة..

لكن هو.. !

نادم على نفسه البريئة وروحة الطاهرة وقلبه النقي؛ فقد كل ذلك في لحظة وانتهى كل شيء وبلا رجعة .

* * *

في شقة المعادي، تلك التي يستغلها ماهر في قضاء لياليه الحمراء وإجراء مقابلاته السرية، اتصل به كرم فوق الخمسين مرة وطلب مقابلته في أمرٍ عاجل وضروري.

على مضض أعطاه عنوان الشقة وذهب لانتظاره بها، أدخله ماهر إلى الصالون ونظر له بغضبٍ:

- في إاااايه يا زفت انت، عمَّال زن زن زن، عاوز إيه؟!!

- عاوزك تشوف لي حل في المصيبة اللي انا فيهاا.

جلس ماهر أمامه ونظر إليه بدهشة:

- مصيبة إيه؟!

- حسن..

- يا بني آدم ما تنطق، أنا هشد الكلام من بؤك؟! ماله زفت؟!!

- مااله إيه، ما هو ما اتقبضش عليه.

- ويتقبض عليه ازاي ومفيش أي دليل ضده، محدش اعترف عليه أصلًا.

- بس اكيد هو اللي عملها، هيكون مين يعني .

- إنت جاي هنا عشان تخمّن؟!! هو ولا مش هو، مفيش دليل.

- بس انا كده هروح فيها، هيقتلني !!

- ويقتلك انت ليه؟! هو يعرف انك انت اللي وزّيت عادل وصبري عليه؟!

نظر إليه ببلاهة:

- لا !

زفر ماهر بضيقٍ:

- ولما هو لا، هيقتلك ليه يعني؟!!

- ما هو قتل وهدان ومهران، ومش هما اللي ضربوه أصلًا.

- يعني انت عاوز توصل لإيه من الآخر يعني، عاوز تفهمني إنه هيرجع تاني عشان يقتلك؟؟ !

- معرفش بقي، بس العمر واحد وانا عاوز انفد بجلدي، اكُت من هنا واهرب من اللبش ده.

- والمفروض اني اعملك ايه يعني؟؟

- تديني فلوسي.

جحظت عينا ماهر من الصدمة، وسأله باستنكارٍ شديدٍ:

- فلوس إيه يا ابو فلوس؟!!

- فلوس آخر عملية.

- نعم يا روح امك؟!!! إنت مش صبري كان ادالك فلوسك بعد العملية على طول؟!

- إداني جزء بس من اللي اتفقنا عليه، مدانيش الفلوس كلها.

- خلاص، إنزله القبر وحاسبه بقي، جايلي انا ليه؟!

وقف كرم مكانه وقال بغضبٍ:

- إنتوا اللي كنتوا بتقشوا الفلوس كلها وترموا لي الفتافيت، ودلوقتي انا عاوز حقي.

فقد ماهر السيطرة على أعصابه، أمسكه من ياقة قميصه المُتعرِّق وصاح فيه بغضبٍ:

- بقولك إيه يلااا، إصحى وفوق لنفسك كده، متنساش انت بتتكلم مع مين، فلوس مفيش فلوس، كان ليك حساب مع اللي ماتوا ربنا يرحمهم، إنزلّهم القبر حاسبهم، أنا مليش دعوة، خالتي وخالتك واتفرقوا الخالات، خلاص مفيش شغل تاني، متخوتنيش بقى وتفضل تتنطط لي في كل حتة كده.

أنزل كرم يده بعنفٍ وصرخ بجنونٍ:

- ده مسموش كلاااام ده، إنت كده بتنصب علياااا

توجه ماهر نحو الطاولة الخشبية الأنيقة، وتناول علبه سجائره، فتحها وأخرج منها واحدة وأشعلها، ثم نظر أخيرًا إلى كرم وقال ببرودٍ:

- إخبط راسك في أتخنها حيطة يا كرم ، ويلا مع السلامة بقى هوينا، أنا جايلي ناس ومش فاضي.

نظر إليه كرم بغضب العالم، وقال بوعيد:

- ماشي يا ماهر باشا، بس متفكرش ان كده حسابنا خلص. خرج من الباب وأغلقه خلفه بعنفٍ.

جلس ماهر على الأريكة، ينفث دخان سيجارته بشرودٍ.

" الواد ده مش هيهمد وهيفضل يعمل لي قلق، أنا لازم اخلص منه في أسرع وقت، لازم "

أطفأ سيجارته وتناول الهاتف، اتصل برقمٍ:

- ألو.. أيوة يا مجدي.. كويس.. بقولك إيه، عاوزك في موضوع مهم.. تقدر تعدي عليا دلوقتي في شقة المعادي.. طيب مستنيك.. سلام "

أغلق الخط وجلس بانتظار ضيفه وهو يتوعد لكرم بداخله:" أما نشوف انا ولا انت يا سي كرم "

* * *

بسرعة البرق نشر مجدي في المنطقة شائعة أن كرم هو خلف كل ما حدث لحسن، وإحقاقًا للحق، هي ليست بشائعة، بل حقيقة صفراء من ورائها غرض آثم.. بدايه أحبَّ قمر محبوبته وجنَّ جنونه عندما كشف عن علاقتها به، فدفع بعادل وصبري الذي تجمعه بهما صلة صداقة غريبة، لم يستطع أحد تفسيرها، للانتقام من حسن، وللأمانة، انتقامهما قد ظهر في أبشع صوره، وساعدهما القدر في إمعان ذُلِّه بحضور قمر للمعركه من بعد بدايته بقليل. يومان فقط، وتناقل الخبر من لسان لسان حتى أصبح على ألسن جميع سكان المنطقة.

ثار إبراهيم على قمر وكاد أن يقتلها في يده من شدة الضرب، أنقذها محمد منه في آخر لحظة وأنقذها الله ورأف بحالها بذلك "العريس اللقطة" الذي تقدم لها في الوقت المناسب تمامًا، ليس

من المنطقة، لا يعلم شيئًا عن ذلك الكلام الذي يُقال، رآها في عيادة الطبيب الذي ذهبت إليه مع والدتها، أُعجَب بها، سار خلفها إلى أن علم بمكان سكنها، وبمنتهى البساطة طلبَ يدها من شقيقها !

الموقف أصعب بكثير تلك المرة، لن تستطع الرفض، خلاف ما علمه سكان المنطقة عن علاقتها بحسن وموقفها أمام أهلها، " العريس" مناسب تمامًا؛ مدرس رياضيات في مدرسة حكومية والدروس الخصوصية صنعت منه "ملكًا " يملك سيارة متواضعة لكنها في النهاية سيارة، ولديه شقة في منطقة أرقى بكثيرٍ من تلك المنطقة، لا يوجد به عيب وليس هناك أيّ سببٍ مقنع أو منطقي للرفض.
السبب الوحيد العائق عند قمر هو ذلك الشيء النابض بداخلها ويسمى "القلب ".

قلبها حُفِرَ عليه اسم حسن، كل ذَرَّة فيه تنبض له عشقًا، كيف تنساه وتنسى حبها له، إلى الآن لا تستطيع تصديق أنه هو من قام بتلك المجزرة، سمعت البعض في السوق يتحدثون بشأن ذلك الموضوع، وأن حسن بائع الملابس هو من قتل رجال " آل دهشان "جميعًا، يتحدثون ببرودٍ وهدوء أعصاب، كأنهم يتحدثون عن أكله جديدة!
حسن من أحبَّته وعشقته غير قادر على إيذاء قطة ضالة، كيف له أن يقتل أربعة رجال؟!!

ليس أمامها حل سوى الاستسلام، لن تستطع أن تحارب بدونه، اختفى منذ يوم المعركة الشهيرة، رحل ولم يعد !

* * *

منهارة بالمعنى الحرفي لكلمة انهيار، منذ ساعتين أتاها اتصالٌ على الهاتف الأرضي، أجابت بكل هدوء:

- ألو..

- مدام ماهر القاضي؟؟

استنكرت الصوت، سألته بريبة:

- أيوة أنا، مين معايا ؟!

- أنا واحد جاي يعرّفك حقيقة جوزك.

- حقيقة إيه ؟!!

- حقيقة إنه بيستغفلك ومنيّمك في العسل، مفهمك إنه دايمًا عنده شغل ومشغول، هو أه فعلًا مشغول، بس في حاجات تانية خاالص.

اعتصر القلق قلبها، بدأت تشعر بالدوار، جلست على الأريكة وسألته ببطءٍ وخوفٍ:

- مشغول في إيه، مش فاهمة؟!!

- أنا هفهمك يا مدام، جوزك المحترم عنده شقة في المعادي، محدش يعرف عنها حاجة، عاملها لمزاجه، كل كام يوم يجيب فيها

مزة يقضّي معاها ليلة، لو مش مصدقاني، خدي العنوان اهو، اتأكدي بنفسك.

أعطاها العنوان وأغلق الخط !

مكالمة لم تتعدَ الخمس دقائق قلبت موازين حياتها.

يخونها !!! خنجر مسموم غُرِسَ في صميم قلبها..

لم تدرِ بنفسها إلا وهي ترتدي ملابسها على عجلة وتطرق باب الجيران، لتفتح لها هويدا صديقتها في الشقة المجاورة، وتطلب منها المكوث مع أطفالها لأن لديها مشوارًا عاجلًا وضروريًّا.

- رايحة فين دلوقتي يا ريهام؟!! الوقت اتأخر يا بنتي، الساعة عدت ١١.

- معلش يا هويدا، مشوار ضروري ومش هتأخر، خليكي قاعدة مع الولاد بس.

قادت سيارتها بسرعة جنونية، وصلت إلى العنوان.. بدون تفكير، صعدت البناية وركضت على السلالم إلى أن وصلت إلى الدور الثالث، تسمرت أمام الباب، أخذت نفسًا عميقًا وهي تفكر جديًا في الرجوع، لن تتحمل الصدمة، ستموت قهرًا، لا لاﺍﺍ لن تستطيع.. التفتت تنوي المغادرة، إلا أن باب الشقة انفتح فجأة، لتطل منه فتاة شديدة الجاذبية، ترتدي فستانًا أحمر يصل إلى منتصف فخذيها وشعرها غجري طويل، وخلفها ماهر عاري الجذع.

- ما تتأخريش عليا بقى، أول ما اكلمك تـ.....

توقفت الكلمات في حلقه ما إن رأى ريهام أمامه، نظر إليها بذهولٍ وصدمة وبادلته بنظرة ألم وضياع،

دموعها تنهمر على وجنتيها دون أن تشعر، تنظر له وهي فاغرة فمها، غير قادرة على الاستيعاب أو التصديق، ماهر مع أخرى.. قَبَّل أخرى، أخذ أخرى بين أحضانه، غازل أخرى!!

تموت من شوقها له وهي تنتظره كل ليلة أن يأتي إلى المنزل لتنعم بدفء أحضانه وإحساس الأمان بقربه، وهو بكل قسوة يقرر منح كل ما يخصها لأخرى!!

يكذب عليها ويخدعها كل ليلة، وهي كالبلهاء تصدقه وتُشفق عليه من عناء عمله؟

كيف طاوعه قلبه أن يفعل بها ذلك؟!، كيف هانت عليه؟! ماذا ينقصها حتى ينظر لغيرها؟!

نظرت إلى تلك التي كانت معه تتفحصها ! نعم تتفحصها لترى ما يُميزها عنها، ملابسها التي تكشف أكثر مما تستر؟! ترتديها له هي أيضًا، لكن وحدهما في منزلهما وغرفة نومهما، أليس هذا الصحيح؟!! ألا ترتدي المرأة مثل تلك الملابس سوى أمام زوجها فقط؟؟

شعرها الغجري؟؟ يا لوقاحته!، أخبرها سابقًا أنه يكره ذلك النوع من الشعر وشبهه بـ... "سلك المواعين " وكم يحب الشعر الأملس مثل شعرها.

ملامح وجهها؟؟ من كمية مساحيق التجميل التي تضعها تشعر بأنها أن غسلت وجهها فقط لن يستطيع أن يتعرف عليها! أخبرها أنه

أحبها لبراءتها ولأنها على طبيعتها دائمًا، أخبرها أنه لا يحب مساحيق التجميل الكثيرة لأنها تجعل المرأة أشبه بـ " عروسة المولد ".. مااااذا أحب فيها إذن؟!! مستحيل أن تحبه مثلها، مستحيل أن تخاف عليه مثلها، مستحيل أن تكون أحن عليه منها هي، زوجته وأم طفليه!

انطلقت كالسهم نحو تلك الفتاة وأمسكتها من شعرها وهي تضرخ وتهزي بكلمات غير مفهمومة،

خلَّص ماهر الفتاة من بين يديْ ريهام بصعوبة بالغة وأمرها بأن تركض من أمامها، ركضت الفتاة على السلالم وماهر ممسك بريهام التي تتلوى بعنفٍ بين ذراعيه.

أول مرة يراها في مثل تلك الحالة من الغضب والجنون، أدخلها عنوة إلى الشقة وأغلق الباب، نظرت إليه بكُرهٍ وهي تلهث وصرخت بحرقة:

- ليييييييييييييييييه ؟!!!

نظر إلى ثورتها بارتباك وقال وهو يقترب منها:

- إهدي بس وانا هفهّمك، إنتي.. إنتي فاهمه غلط !

ابتعدت عنه بسرعة، فاقترب منها مجددًا وحاول لمس ذراعها ليهدئها، نفضت يده بعنفٍ وهي تصرخ

- غلط إيييييييه اللي انا فاهماااه؟!!!

- وووووووطي صوووتك يا ريهام، هتصحّي العمارة كلهاا.

- والله !! خايف من الناس؟! ومخوفتش من شكلك قدام الناس وواحدة زي دي طالعة لك البيت وانت لوحدك وأكيد مش أول مرة !، ومخفتش من ربنا اللي أهم من الكل !!

ظلت تتطلع إليه كأنها تراه لأول مرة، وبالفعل هي تراه لأول مرة.. نظرت إلى جذعه العاري وازدادت دموعها، تلمست تلك الحقيرة صدره؟؟ هل قبَّلته من صدره مثلما تفعل هي؟؟ هل.. انهارت تمامًا وجلست على الأريكة خلفها، يخطر على ذهنها تفاصيل خاصة في علاقتهما معًا وتتساءل: هل كان يفعل مع الأخرى مثلما يفعل معها؟!!

نظرت إليه وانفجرت بكبت سنوات:

- أنا مش قادرة اصدق ولا استوعب انك بالوساخة دي؟!! إنت ازاي قدرت تضحك عليا وتخدعني كل ده؟!! إزاي عرفت تمثّل دور المخلص المحترم كل ده؟!!

قال وقد علا صوته بانفعالٍ:

- إحترررمي نفسك يا ريهام، ومتنسيش انك بتتكلمي مع جووزك.
ضحكت بسخرية مريرة:

- جوزي؟! هو فين جوزي ده؟! اللي قدامي ده واحد أنا معرفوووش.
- إنتي فاهمة غلط أصلاًا، محصلش حاجة لكل ده، سالي دي أخت واحد صاحبي وصاحبي ده عنده مشكلة كبيرة، كانت جيالي عشان اساعده واحل المشكلة عشان عارفة ان ليا علاقات كتير.

انتفضت من مكانها ووقفت أمامه مباشرة تقول بغضبٍ كاد أن يصيبها بذبحة:

- كفاياااااااا بقى، إنت لسه هتكدب؟!! ده انا شُفتك بعينيييي، أخت صاحبك إيه اللي جاية لك الشقة لوحدك بالليل وهي لابسة مش لابسة وانت قاعد قدامها عريان؟!! وشقه إاااااايه دي أصلًا ؟!! أنا عمري ما عرفت ان عندك شقة!

فجأة اقتربت منه أكثر وناظراها مُثبتان فوق صدره ، نظر إليها بدهشة وهمَّ بسؤالها عن الذي تفعله، إلا أنه وجدها تضربه على صدره بكل ما أوتيت من قوة وهي تقول بهستيرية:

- الروج بتاعها معلم على صدرك يااااااا مااااااهر، كنت بتعمل معاها إيييييه، كنت بتعمل معاها زي ما بتعمل معايا، بتسمّعها كلام زي اللي بتسمعهووني؟!! طب ليييييه قولي بس لييييه؟!! أنا عملت لك إيييه، قصّرت معااالك في إيييييه، فيها إيه زياده عني ؟!! ليييييييه يا مااااهر.

وصلت لأقصى مراحل الجنون، أفقدته السيطرة عليها، تُشبه التي أتت لها نوبة صرع مفاجئة!!

بدأت تهدأ تدريجيًا بعد أن أفرغت به كل شحنة غضبها، حاول التحدث إلا أنها أسكتته:

- هسسسسسسسسس، مش عاوزه اسمع صوتك، كل ما بتفتح بؤك بتسقط من نظري أكتر، أنا وجعي منك ملوش دوا ومش هيداويه أي كلام، وأي حاجة هتبرر بيها هتجرحني أكتر ما انا مدبوحة!

كفاية أوي يا ماهر لحد كده.

نظر إليها بذهول:

- كفاية يعني إيه؟!!

- يعني خلاص، كفاية عليا لحد كده، أستحمل ليه وعشان مين ؟!! يلعن أبو ده حب اللي يذلني كده !!

شعر ماهر أن كل شيء ينهار من حوله، حاول أن يستدر عطفها، تحدث بصوت هادئ وحنون، لديه قدرة جبَّارة على التلاعب بنبرات صوته في ثوانٍ!

- ريهام، مش هقولك عشان خاطري انا، عشان خاطر الولاد إديني فرصة تانية، دي نزوة يا حبيبتي، إنما انتي مراتي وحبيبتي اللي بقيالي وام ولادي.

قالت بتهكم:

- وانت مفتكرتش ده ليه وانت بتخوني؟؟ مفكرتش في ده ليه وانت شاري شقة مخصوص تبقى الوكر بتاعك اللي بتمارس فيه وساختك، هاااااا، مفتكرتوش لييييه؟؟ !!

- وكر إاااايه وكلام فاضي إيه ؟!! إنتي مين اللي حط في دماغك الكلام ده؟! وعرفتي منين عنوان الشقة هنا أصلًا؟!

- هو ده كل اللي هامك؟! عرفت زي ما عرفت، المهم إني عرفت وخلاص.

- كل الكلام اللي بتقوليه ده مش مضبوط، أنا جايب الشقة دي

من فترة مش كبيرة وخبيت عليكي مش عشان حاجة، بس كنت كل ما بحب اريّح دماغي من دوشة الشغل ودوشة العيال في البيت أجي هنا، ومرضتش اقولك عشان متزعليش.

نظرت إليه بازدراء واضحٍ:

- إنت بارع في الكدب بطريقة تخض ! واضح فعلًا إن الشقة انت جايبها عشان تروّق دماغك وفعلًا روّقتها على الآخر ! قالت ذلك وهي تشير إلى كاسين الخمر فوق الطاولة، أخذت نفسًا عميقًا وحاولت أن تتحدث بهدوءٍ وتسيطر على انفعالها:
- بُص يا ماهر، أنا يوم ما حبيتك واتجوزتك اتجوزت شخص تاني خالص غير اللي واقف قدامي ده، إللي واقف قدامي ده واحد معرفوش ومش عاوزة اعرفه ولا هقبل اني اعيش معاه تاني، إنت الحسنة الوحيده اللي عملتها ليا هي ولادي، ومن مصلحة ولادي ومصلحتي انك تبعد عننا، أنا عاوزة اربّي ولادي صح، مش عاوزة مروان يكبر ويبقى شبهك!!

نظر إليها بريبة وسألها بقلقٍ:

- يعني قصدك إيه؟!!

- قصدي انك تطلقني وده قرار نهائي ومش هرجع فيه.

قالت جملتها الأخيرة ثم فتحت باب الشقة وركضت على السلالم.. لا تعلم كيف عادت إلى منزلها، تبكي بألمٍ وحرقة، تبكي دون توقف.. غضب وحزن وألم، وفوقهم إصرار رهيب على ترك ماهر وإلى الأبد !

خانها وجرحها وعبث بمشاعرها كدُمية.. كم أحبته وكم تمقته في تلك اللحظة، على قدر العشق يكون الألم،

كانت خائفة من نفاد صبرها وها هو قد نفد بالفعل.

لو لم تكن تعشقه إلى تلك الدرجة لكان من المحتمل أن تسامحه ! فلسفة غريبة للقلب.. تبدو غير منطقية لكنها مقنعة جدًا لصاحبها.

* * *

ما إن تركته وركضت على السلالم وهو على وشك الانفجار من شدة الغضب..

" هو كرررررررم الكلب مفيش غيره، متخيلتش انه توصل بيه للدرجة دي، خلاص كده جاب آخره خالص معاياا "

أمسك بهاتفه وطلب رقم مجدي:

- آلووو.. ايوة يا مجدي.. ايه الاخبار؟؟ ؟.. أنا عاوز اخلص من الموضوع ده في أسرع وقت.. ده على طول مبرشم ومش داري بالدنيا أصلًا، ولا هيعرف إن الناس بتتكلم عليه.. المهم بس ركز وخلي عنيك في وسط راسك وبلغني بالجديد أول بأول.. سلام.

* * *

تعرَّض خيري لوعكة صحية جعلته يتأخر عن حسن يومين كاملين دون أن ينقل له أي أخبار، كاد أن يجن، عقله يحثه على الذهاب إلى هناك ليطمئن على الأحوال بنفسه، لكنه قلبه متوجّس خِيفة،

سكوت الجميع وتستُّرهم عليه أمرٌ مريبٌ ومثيرٌ للدهشة والقلق في آنٍ واحدٍ، سينتظر قليلًا إلى أن يأتي وانتظر بالفعل وأتى خيري.

* * *

مُخطط ماهر سار كما خطط له بالحرف الواحد وإن كان تأخر قليلًا بسبب وعكة خيري الصحية.

أتى خيري إلى حسن ليفجر له قنبلتين وليست واحدة؛ خبر كرم وخبر قمر!

أخذ بضع دقائق ليستوعب الصدمة، بعد كل ذلك ستتزوج غيره، أتى آخر لخطبتها وتم تحديد موعد الزفاف نهاية الشهر، بتلك البساطة؟!

شعر أن كل شيء يتسرب من بين يديه حتى محبوبته، وشعر بغضب العالم كله يجتاحه من ذلك المدعو " كرم "، ألا يكفي أنه كان يرغب بالزواج من قمر، لكن يكون هو السبب في كل ما حدث له !! أذاه ودمَّر حياته دون سبب، أو لسبب أخرق هو المذنب فيه وليس حسن ! قمر له، ملكه، طالما شعر بذلك، طالما بنى أحلامًا عريضة له معها، بأي حقٍ يقرر كرم الانتقام منه على أخذه لشيء يخصه هو من الأصل، ويا ليته حصل عليها ، بل ستتزوج غيره في النهاية! كرم من جعل منه قاتلًا، كرم من حوَّل حياته إلى جحيم، كرم من سلب منه نفسه البريئة وروحه الطاهرة مثلما سلب منه رجولته وكرامته، وقمر...!

تُرى كيف كانت ردة فعل أهلها عندما علموا بالعلاقة الخفية التي كان بينهما، من المؤكد أنهم أذوها !!

لم يستطع التحمل، سيطرته على نفسه وأعصابه أصبحت شِبه مستحيلة في الآونة الأخيرة، لم يشعر بنفسه إلا وهو يركض خارجًا من سجنه، دون سلاح دون تفكير دون شيء !

وخيري ركض وراءه يهتف باسمه دون جدوى أيضًا.

* * *

وصل أخيرًا إلى المنطقة بعد عناء؛ فالمكان الذي كان مختبئًا به شِبه نائي، تمرّ فيه وسائل المواصلات بصعوبة وكل فتره كبيرة، ظلَّ يسير ويسير إلى أن وجد مقطورة نقل بضائع أوصلته.

كان يركض كالمجنون يبحث عن ضالته التي يجهل هويتها.

علي أي شئ يبحث ؟! عن كرم؟! عن قمر؟! أم يبحث عن نفسه في نفس المكان الذي أُهدرت فيه كرامته ورجولته وفي نفس المكان الذي فقد فيه إنسانيته وآدميته ؟!!

أثناء ركضه توقف عند ذلك المقهى اللعين، والذكريات الأليمة كلها داهمته في لحظة واحدة، رآه يجلس على طاولة جانبية وواضح عليه الشرود، اشتبه به، رآه قبل ذلك في المنطقة كثيرًا لكنه غير متأكدٍ أنه هو كرم نفسه، لم ينتبه إلى نظرات الناس المندهشة والمتسائلة، ولا إلى أحاديثم الجانبية

" مش هو ده الواد اللي عادل وصبري ضربوه؟! "

ولم ينتبه له كرم الذي كان يبدو في عالمٍ آخر..

- كرررررررررررررم

ناداه بصوت أفزع الجميع، عيناه مثبتتان عليه يتبين ردة فعله. انتفض كرم من مكانه ونظر إلى حسن برعبٍ، فنظر إليه حسن بغِلٍّ ، إنه هو، رعبه فضحه، وفي لحظة خاطفة ركض نحوه، ولكمه لكمة قوية على وجهه، وقبل أن يستجمع كرم قواه كان حسن قد سحبه من ملابسه إلى خارج المقهى، أطرحه أرضًا وانقضَّ عليه يوسعه ضربًا ، والأخير يتلقى الضربات ويتأوه وهو غير قادرٍ على الحراك.

وفجأة تغير كل شيء، وانقلبت الآية..

رجال سعد المنتشرون في المنطقة كلها أخبروه بوجود حسن، فحمل سلاحه ورجاله خلفه، وذهب إليه !

أخيرًا سيسير مرفوع الرأس، أخيرًا سيرد كرامته ويثأر لوالده وعمه وأبناء عمه..

الدماء تغلي في عروقه ما إن يتذكر، وهو لا ينسى من الأساس، إمبراطورية " آل دهشان " انهارت على يد ذلك الحقير، ولم يتبقَ سواه، وقبل أن يسترد إمبراطورية عائلته عليه استرداد حقهم أولًا.

فجأة وجد حسن رجالًا كثيرين يحيطون به هو وبكرم المسجى تحته. وشاب طويل على وجهه كل ملامح الكره والغضب يقف أمامه.

في تلك الأثناء كان هناك من يتابع الموقف من بعيد بعينين كعينيْ الصقر، إنه مجدي ذراع ماهر الأيمن الجديد.

معه على الهاتف ويخبره بآخر تطورات المعركة وهو من موقعه في شقة المعادي.

نظر حسن إلى ذلك الواقف أمامه بذهولٍ، وفقدَ تركيزه بعض الشيء مما أتاح لكرم الفرصة كي يتخلص من قبضته ووزنه عليه

ليزحف ويبتعد عنه قليلًا، لكنه يظل محاصرًا داخل الدائرة التي كونها رجال سعد حولهم.

وقف حسن مكانه وظلَّ ينظر إلى سعد بدهشة؛ فقرر سعد أن يُريحه من حيرته أخيرًا :

- مستغرب وعاوز تعرف انا مين، مش كده؟!

ظل حسن ينظر إليه دون رد:

- أنا " سعد الدهشان "، اللي انت قتلت ابوه وعمه وولاد عمه

أغمض حسن عينيه وتأكد أنها النهاية لا محالة.. سيرضى بها، لكنه كان يريد أن يرى قمر ولو للمرة الأخيرة.. أليس من حق المحكوم عليه بالإعدام أن يطلب طلبًا واحدًا قبل موته؟!، طلبه الوحيد أن يراها ولو لدقيقة واحدة قبل أن يموت.

سيشتاق إليها كما لم يشتَق لأحدٍ من قبلها، كانت أمنيته أن يعيش معها في الدنيا وينعم بها في الآخرة أيضًا، لكن أي آخرة الآن؟! لقد تلوث تمامًا لدرجة أنه أصبح لا يرتقي لأن يكون معها لا في الدنيا ولا في الآخرة! أمثاله من القتلى مصيرهم معروف عند ربه، تساوى الظالم مع المظلوم ليصبح الاثنان قتلى في النهاية.. قتلوه ذُلًا و ظلمُا فقتلهم برصاصات غادرة لتكتمل الدائرة الآن ويُقتل هو بنفس رصاصات الغدر.

انقضَّ سعد على حسن وظلَّ يضربه و" يفش غله" به، وحسن مستسلم تمامًا.

ألقى به أرضًا إلى جوار كرم الغير قادر على الحراك، ليس من الضرب فقط، بل لأنه متناول كمية هائلة من الحبوب القادرة على إخماد ثورة فيل !

وأمسك برشاش آلي من أحد رجاله وصوَّبه تجاه حسن وهو يشعر بنشوة الانتصار وفخر رد الكرامة..

وشريط حياة حسن مرَّ كاملًا أمام عينيه في لحظة واحدة وتوقف عند مشهد ضغطه على الزناد، بكى قلبه دون أن تدمع عيناه، أبدًا لم يتمنَ تلك الحياة ولا تلك النهاية، كانت أحلامه بسيطة وطموحه لا يُذكر ، لكن الحياة كانت أقسى بكثير من أن تحقق له أحلامه المتواضعة، أو ربما هي قساوة بشر!

تحوَّل إلى قاتل وسيتحول إلى قتيل ربما الآن، ربما بعد لحظات.. عاش وحيدًا وسيموت وحيدًا..

أغمض عينيه في استسلام تام إلى أن سمع صوتها، تصرخ باسمه والصوت يقترب وقبل أن تصل إليه كان سعد قد ضغط على الزناد.

- أيوة يا باشا..

- ها، طمني إيه الأخبار؟؟؟

- سعد خلّص على حسن يا باشا.

- تمام، طيب وكرم؟؟

- محصلّوش حاجة.

صرخ ماهر بغضب:

- يعني إيييييييه ؟!!! حسن مقتلهوش ؟!!

- لا ملحقش، هو يا دوب ضربه بس وسعد جيه خلّص عليه.

صمت قليلًا يحاول التفكير في خطة بديلة.

- طب إسمع، حالًا في وسط الهرجلة اللي حاصلة دي تروح تخلص انت على كرم، من غير ما حد يشووووفك سامعني، تدخل في وسط الزحمة تخلص وتُكتّ على طول، وأول ما تخلص تطمني.

"حسسسسسسسسسسسسسسسن.."

اخترقت الدائرة البشرية، ووصلت إليه، جثت علي ركبتها بجانبه وهي تنظر إليه مصعوقة و هو غارق في دمائه، ظلت تبكي بهسيرية وتهزه بقوة:

- حسسسن.. حسسسسسسسن.. قوووم يا حسن.. عشان خاطري قوووووم.. متسبنيييش لوحدي تاااني أنا ما صدقت اني لاقيتك.. انا قولت إن ربنا هيعوضني بيك عن كل حاجة شفتهاا.. حراااام تروح منِّي كدددده.. يااااااااااا رب..

كانت صرخاتها تعلو وتعلو وتشعر أن روحها تنسحب منها هي الأخرى، لو استطاعت لتقاسمت معه عمرها ليعيشا معًا ويموتا سويًّا! وجدَته صدفةً وفقدَته غدرًا.

نظر إليها بابتسامة غريبة! طالما ابتسم لها لكن تلك الابتسامة لم تعهدها من قبل، إنها ابتسامة وداع، مدَّ يده ببطءٍ حتى وصلت إلى يدها، أمسك بها بضعفٍ، وقال بصوتٍ متقطع:

-كانـ..نفسي..تـ..بقي..آ..خر..حا..جة..اشو..فها.

رفعت رأسه ووضعتها فوق حجرها وهي تصرخ بجنون:

-لاااا لاااااااا.. إنت مش هتموت.. إنت مش هتسيبني.. أبوووس إيدك إوعي تسيبني.. خليك معاياااااا يااا حسن..

كانت تحاول أن تكتم دماءه بيدها، حلمت كثيرًا أن يضمها إلى صدره وهي حلاله، ضمَّته هي إلى صدرها بكل ما أوتيت من قوة، وهي تستمد روحها من بقايا نبضاته البطيئة حتى لا تقع ميتة إلى جواره!

ارتاح بأحضانها وابتسم! تمنى هو أيضًا مرارًا أن يضمها إلى صدره ويعوّضها عن كل ما عانت منه في حياتها. أبعدته عن أحضانها وهي تنظر إليه بهلعٍ تستجديه ألا يتركها، وهو ينظر إليها بضعفٍ وعجزٍ كأنه يقول " ليس بيدي" كانت عيناه مثبتتين عليها بقدر ما استطاع. وفي تلك اللحظة، تذكر حلمه وفهم معناه ،

"ألقى عليها آخر نظرة قبل أن يُغمض عينيه لتبتلعه الرمال بأكمله وآخر ما سمعه هو صوت صرخاتها و بكائها".. الفارق الوحيد هنا أن الرمال لم تبتلعه، وروحه هي التي فارقت جسده.

أغمض عينيه وإلى الأبد.. صرخت قمر آخر صرخة مجنونة قبل أن تفقد الوعي.

ورصاصة طائشة من سلاح مجدي، أودت بحياة كرم، ليتحول المكان إلى بِركة من الدماء..

في تلك الليلة أظلمت السماء لكن القمر قد غربَ منها؛حدادًا.

ظلم فادح وُلد من شياطين الإنس، ليحوِّل بريئهم إلى قاتل، ثم مقتول، فطِرَ قلب محبوبته عليه.. تلك التي حلمت به يومًا، لينتهي حلمها الوردي على كابوسٍ مُفجعٍ!!

تمَّت بحمد الله

* * *